إيليا أبو ماضي



دار العلم للملايين

ص.ب: ١٠٨٥ - بيروت
تلكس: ٢٣١٦٦ - لبنان

الطبعة الخامسة عشرة

نيسان (ابريل) ١٩٨٢


الخمائل

المدخل

وقعتْ نحلةٌ على الأقحوانِ   فـاذا في القفـير شـهدُ
ومشتْ بعدها على الأغصان   دودةٌ فالغصونُ جُـردُ
وهمى الغيثُ في الحقول ففيها   شجرٌ وارفٌ وزهـرُ
وأصاب الرمالَ كي يحييها   فهمـا ميّـتٌ وقـبرُ
أنا غيثٌ، فان وجدتك حقلاً   فـأنا العشـبُ والشـجرْ
غيرَ أني، إذا لقِيتكَ رملاً،   لستُ شيئاً حتى المطـرْ

وأنا الأقحوانُ سِيّان عندي عشت يوماً أو بعض يومِ
لا أبالي الفناء إن كان مجدي في فنائي أو مجدُ قومي
إن تغبْ في فراشةٍ ألواني فأنا زهرةٌ تطيرُ
وإذا انحلّ في الشُعاع كياني فأنا في الضحى عبيرُ
جنّبوني الفناء في الديدانِ انه المصرع الكريهْ
وانعدامُ الأريج والألوانِ واندثارٌ لا مجد فيهْ
كنْ شُعاعاً يبينُ فيه كياني لا ظلاماً ولا رَغامْ
ولأعشْ في الشعاع بِضع ثوانِ فهيَ خيرٌ من ألفِ عامْ

الشاعرُ والملِكُ الجائِر

١

أمرَ السلطانُ بالشاعرِ يوماً فأتاهُ
في كساءٍ حائلِ الصبغةِ واهٍ جانباهُ
وحذاء أوشكتْ تفلتُ منه قدماهُ
قال : صِفْ جاهي ففي وصفك لي للشعر جاهُ
إن لي القصر الذي لا تبلغُ الطيرُ ذُراهُ

وليَ الروضُ الذي يعبُقُ بالمسكِ ثـراهُ
وليَ الجيش الذي ترشحُ بالموت ظُبـاهُ
وليَ الغـاباتُ والشُّمّ الرواسي والميـاهُ
وليَ الناس .. وبؤسُ الناس مني والرفاهُ
إن هـذا الكون ملكي أنا في الكون إلهُ !

٢

ضحك الشـاعرُ ممـا سـمعتْه أُذنـاهُ
وتمنّى أن يـداجي فعصتْـهُ شـفتاهُ
قال : إني لا أرى الامرَ كما أنت تراهُ
إن ملكي قـد طوى ملكك عني ومحـاهُ

★

القصرُ ينبئ عن مهارة شاعرٍ لبقٍ ، ويخبرُ بعدهُ عنكا
هو للألى يدرون كُنه جماله فاذا مضوا فكأنه دكّا

ستزول أنت ولا يزول جلالهُ
كالفُلكِ تبقى ، ان خلتْ ، فلكا

والروضُ ؟ إن الروضَ صَنعةُ شاعر
سمحٍ طروبٍ رائقٍ جزلِ
وشّى حواشيَهُ وزيّن أرضهُ بروائعِ الالوان والظلّ
لفراشةٍ تحيا لهُ ، ولنحلةٍ تحيا بهِ ، ولشاعرٍ مثلي !
ولديمةٍ تذري عليه دموعها كيما تقيه غوائلَ المَحْلِ
ولبلبلٍ غرِدٍ يساجل بلبلاً غرداً ، وللنسمات والطّلّ
فاذا مضى زمن الربيع أضعتَهُ وأقام في قلبي وفي عقلي !

★

والجيش معقودٌ لواؤك فوقهُ ما دمتَ تكسوه وتطعمهُ

للخبز طاعتهُ وحسنُ ولائهِ

هو «لاتهُ» الكبرى و «برْهَمهُ»

فإذا يجوع بظلِّ عرشك ليلةً فهو الذي بيديهِ يحطِمهُ

لكَ منه أسيُفهُ ولكن في غدٍ لسواك أسيُفهُ وأسهُمهُ

أتُراهُ سار إلى الوغى متهللاً لولا الذي الشعراء تنظِمهُ ؟

وإذا ترنّم هل بغير قصيدةٍ من شاعرٍ مثلي ترنُّمهُ ؟

★

والبحر ، قد ظَفِرت يداك بدرِّه

وحصاه ، لكن هل ملكت هديرَهُ ؟

هو للدجى يلقي عليه خشوعهُ

والصبح يسكبُ، وهو يضحك نورَهُ

أمَرَجتَ أنت مياهَهُ ؟ أصبغتَ أنـ
ـت رماله ؟ أجبلت أنت صخورَهُ ؟

هو للرياح تهزّه وتثيره والشهب تسمع في الظلام زئيره
للطير هائمةً بـه مفتونـةً لا للذين يروّعون طيورَهُ
للشاعرِ المفتونِ يخلقُ لاهياً من موجه حوراً ويعشق حوره
ولمن يشاهد فيه رمزَ كيانهِ ولمن يجيدُ لغيره تصويرَهُ

يا مَن يصيدُ الدرّ من أعماقه
أخذتْ يداكَ من الجليلِ حقيرَهُ
لا تدّعيه ... فليس يُملكُ ، انه
كالروضِ جهدُكَ ان تشمّ عبيرَهُ

★

ومررتُ بالجبل الأشم فما زوى
عني محاسنه ولستُ أمــيرا
ومررتَ أنتَ فما رأيت صخوره
ضحكتْ ولا رقصتْ لديك حبورا
ولقد نقلتُ لنملهِ مـا تــدّعي
فتعجبتْ ، ممــا حكيتُ ، كثيراً
قالت : صديقك ما يكون ؟ أقشعماً
أم أرقماً ؟ أم ضيغماً هيصورا ؟
أيحوك مثــل العنكبوت بيوتــه
حوكاً ؟ ويبني كالنسور وكورا ؟
هل يملأ الأغوار تبراً كالضحــى
ويردّ كالغيثِ المواتَ نضيرا ؟

أيلفَ كالليلِ الأباطحَ والربى
والمنزلَ المعمورَ والمهجورا ؟
فأجبتها : كلاّ ! فقالت : سمّهِ
في غير خوف « كائناً مغرورا ! »

٣

فاحتدم السلطانُ أيَّ احتدام ولاح حبّ البطشِ في مقلتيه
وصاحَ بالجلاّدِ : هات الحسامْ !
فأسرعَ الجلاّد يسعى اليهْ
فقال : دحرجْ رأسَ هذا الغلام
فرأسه عبءٌ على منكبيهْ
قد طُبعَ السيفُ لحزّ الرقابْ وهذه رقبة ثرثارِ

أقتله ... واطرحْ جسمَهُ للكلابْ

ولتذهبِ الروحُ إلى النارِ

★

– سمعاً وطوعاً سيّدي !.. وانتضى

عضباً يموجُ الموتُ في شفرتيهْ

ولم يكن إلا كبرق أضا حتى أطار الرأس عن منكبيه

فسقطَ الشاعرُ مُعْرَوْرِضاً

يخدّش الأرضَ بكلتا يديهْ

كأنما يبحثُ عن رأسهِ

فاستضحك السلطانُ من سجدتهْ

ثم استوى يهمس في نفسه « ذو جِنّة » أمسى بلا جنّته

أجل ، هكذا هَلَكَ الشاعرُ كما يهلِكُ الآثمُ المذنبُ

فما غصّ في روضة طـائرٌ ولم ينطفئ في السما كوكبُ
ولا جـزعَ الشـجرُ النـاضرُ
ولا اكتـأب الجدولُ المُطـرِبُ
وكوفئ عن قتلهِ القـاتِلُ بمالٍ جزيلٍ وخدّ أسـيلْ
فقال له خُلقهُ السافلُ ، ألا ليت لي كل يوم ٍ قتيلْ !

٤

في ليلةٍ طامسـةِ الأنجـمِ تسلّلَ الموتُ إلى القصـرِ
بين حرابِ الجندِ والاسهمِ والأسيُفِ الهنديّة الحمـرِ
إلى سريرِ الملكِ الأعظـمِ إلى أمير البرّ والبحرِ ! !
ففارق الدنيا ولمـا تـزلْ فيهـا خمورٌ وأغاريـدُ
فلم يمِدْ حزناً عليه الجبـل ولا ذوى في الروضِ أُملودُ

٥

في حومةِ الموتِ وظلّ البِلى قد التقى السلطانُ والشاعرُ
هذا بلا مجدٍ ، وهذا بلا ذلٍّ ، فلا باغٍ ولا ثائرُ
عانقت الاسمالُ تلك الحلى واصطحبَ المقهورُ والقاهرُ
لا يجزع الشاعرُ أن يُقْتَلا ليس وراء القبر سيفٌ ورمحْ
ولا يبالي ذاك ان يُعذلا سيّانِ عند الميتِ ذمٌ ومدحْ

٦

وتوالتِ الأجيالُ تطّردُ جيلٌ يغيب وآخرٌ يفدُ
أخنت على القصر المنيف فلا الجدران قائمةٌ ولا العُمُدُ
ومشت على الجيش الكثيف فلا خيلٌ مسوّمة ولا زردُ
ذهبت بمن صلُحوا ومن فسَدوا ومضت بمن تعِسوا ومن سعُدوا

وبمن أذابَ الحبّ مهجتَـهُ   وبمن تأكّلَ قلبَهُ الحســدُ
وطوت ملوكاً مـا لهم عددٌ   فكأنهم في الأرض ما وُجِدوا
والشاعرُ المقتولُ باقيــةٌ   أقوالُهُ فكأنهـا الأبــدُ
ألشيخُ يلمُسُ في جوانبهـا   صورَ الهوى والحكمةَ الولدُ

الفيلسوفُ المجنّح

يا أيها الشادي المغرِّدُ في الضحى
أهواكَ ان تُنشدْ وإن لم تنشدِ
الفنّ فيكَ سجيّةٌ لا صنعةٌ
والحبّ عندك كالطبيعة سرمدي
فإذا سكتّ فأنت لحنٌ طائرٌ
وإذا نطقتَ فأنتَ غيرُ مقلّدِ
للهِ درّك شاعراً لا ينتهي
من جيّدٍ إلا صبا للأجودِ

مَرَحُ الأزاهرِ في غنائك والشـذى
وطلاقةُ الغدرانِ والفجرِ النـدي
وكـأن زورك فيه ألفُ كمنجـةٍ
وكـأن صدرك فيه ألفُ مردّدِ
كم زهرةٍ في السفحِ خـادرةِ المنى
سكنتْ على يأسٍ سكون الجلمـدِ
غنّيتها فاستيقظتْ وترنّحت وتألّقتْ كالكوكبِ المتوقّد
وجرى الهوى فيهـا وشـاع بشاشةً
من لم يحبّ فـانه لم يولـدِ
وكأنّي بك حين تهتِفُ قائلٌ للزهرِ: ان الحسنَ غير مخلّدِ
فاستنفدي في الحب أيـامَ الصبـا
واسترشديه فهو أصـدقُ مرشـد

واستشهدي فيه ، فمن سخرِ القضا
أن لا تذوقيه وأن تُستَشهَدي !

★

يا فيلسوفاً قد تلاقى عنده طربُ الخَلِيِّ وحرقةُ المتوجِّد
رفع الربيعُ لك الارائك في الربى
وكسا حواشيها برودَ زبرجد
أنت المليك له الضياء مقاصرٌ وتعيش عيشَ الناسكِ المتزهد
مستوفزاً فوق الثرى متنقّلاً في الدوحِ من غصنٍ لغصنٍ أملد
متزوّداً من كلّ حسنٍ لمحةً شأن المحبِّ الثائرِ المتمرّدِ
وإذا ظفِرت بنفحةٍ وبقطرةٍ فلقد ظفرت بروضةٍ وبموردِ
تشدو وتبهتُ حائراً متردّداً حتى كأنك حين تعطي تجتدي
وتمدّ صوتك في الفضا متلهّفاً في ذلّة المسترحمِ المستنجدِ

فكـأنمـا لكَ موطـنٌ ضيّعتـه
خلف الكواكب في الزمانِ الأبعدِ
وطنٌ جميلٌ كنتَ فيه سيّداً فمضى ودام عليك همّ السيّد
طوردت عنه إلى الحضيض فلم تزل متلفّتاً كالخائف المتشـردِ
يبدو لعينكَ في العقيقِ خياله وتراهُ في ورق الغصون الميّدِ
صورٌ معدّدة لغير حقيقـة كالآل لاح لمعطَشٍ في فدفد
فتهمّ أن تدنو اليه وتنثني حتى كأنك خائفٌ أن تهتدي
وكأنه حلمٌ يصحّ مع الكـرى فإن انتهيت مع الكرى يتبدّد
كم ذا تفتشُ في السفوح وفي الذرى
عنقـاء أقربُ منـه للمتصيّـدِ

★

يا أيهـا الشـادي المغرّدُ في الضحى
أهواك إن تنشـدْ وإن لم تنشـدِ
طوباك إنك لا تفكـّرُ في غدٍ بـَدءُ الكـآبةِ ان تفكـّرَ في غد
إن كنتَ قد ضيـّعتَ إلفك إنني أبكي على إلفي الذي لم يوجدِ

ماءٌ وطِين

سألتني وقد رجعتُ اليهـا وعلى مفرقي غبار السنينا :
أيّ شيء وجدتَ في الأرض بعدي ؟
قلتُ : اني وجدت ماءً وطينا
جمع الحسنَ والدمامة والإقـ ـدام والخوف والنّهى والجنونا
والرجاء الذي يصير به الفدْ فدُ روضاً وشوكُه نسرينا
والقنوط الذي يعرّي من الأو راق في نشوةِ الربيع الغصونا

ووجدتُ الهوى كما كان قِدماً ثقةً تارةً وطوراً ظنونا

وشباباً سكران من خمرة الوهم يخال المحالَ أمراً يقينا

فإذا شاخت الرؤى وتلاشت وصحا ، بات جزمُهُ تخمينا

لا يزال الايمان نوعاً من الرّهبة ، والحسنُ للغرور خدينا

لا يزال الغنيّ يختال في الأر ض وان كان جاهلاً مأفونا

كلّ من قد لقيت مثلُك يا نفـ سيَ في ما تُبدينَ أو تُخفينا

فانظري مرةً اليك مليّاً تبصري الأولين والآخرينا

الإبريق

ألا أيها الإبريق ما لك والصلَفْ
فما أنت بلّورٌ ولا أنت من صدفْ
وما أنت إلاّ كالاباريق كلّها
ترابٌ مهينٌ قد ترقّى إلى خزف
أرى لك أنفاً شامخاً غير أنهُ
تلفّع أثواب الغبارِ وما أنِف

ومسّته أيـدي الأدنيـاء فما شـكا
ومصّتهُ أفواه الطغـام فما وجَفْ

وفيك اعتزاز ليس للديكِ مثـله
ولست بذي ريش تضاعف كالزغف

ولا لك صوتٌ مثله يصدع الدجى
وتهتِـفُ فيه الذكريات إذا هتف

★

وأنصتّ أستوحيـهِ شيئاً يقوله
كما يسكت الزّوار في معرض التّحف

وبعد ثوانٍ خلتُ اني سـمعتُـه
يـُثرثِـر مثل الشيـخِ أدركه الخرَف

فقال : «سقيتُ الناسَ» ، قلت له : أجل

سقيتَهمُ ماء السحاب الذي وكف

ودمعَ السواقي والعيون الذي جرى

وماء الينابيعِ الذي قد صفا وشف

فقال : ليذكُرْ فضليَ الماء وليُشِدْ

بمدحي ألم أحمِله ؟ قلت : لك الشرف !

فقال : ألم أحفَظْهُ ؟ قلت : ظلمتَهُ

فلولاه لم تُنقل ولولاك ما وقفْ !

أمنيّة آلهة

أحبّ إلهٌ في صباهُ إلاهةً
جرى السحرُ في أعطافها والترائبِ
تمنّت عليه آيةً لم يجئ بها إلهٌ سواه في العصور الذواهبِ
ليمسي على الأرباب أجمع سيّداً
وتمسي تباهي كلّ ذات ذوائبِ
وكان إلهاً جامحاً متضرّماً هوىً فأتى بالمعجزات الغرائب

كسا الأرض بالزهر البديع لأجلهـا
ورصّع آفـاق السما بالكواكب
وما زال حتى علّم الطير مـا الهوى
فحنّت وغنّت في الذرى والمناكبِ
وأنشـأ جنّـاتٍ وأجرى جـداولاً
ومَدّ المروج الخضر في كل جانب
وشاء فشاع العطر في المـاء والضيـا
وفي كل صوت أو صدىً متجـاوب

★

ومسّ الضحى فارفضّ تبراً على الربى
وسال عقيقـاً في حواشي السباسبِ
وقال لأحلام البحار: تجسّدي مواكبَ الوانٍ وجيش عجائبِ

فكانت لآلٍ في الشطوط ، وفي الفضا
غيوم ، وموجٌ ضاحكٌ في الغواربِ
ولما رأى الأشياء أحسن ما تُرى
وتمّت له دنيا بغير معايب
دعاها اليه كي تبارك صُنعه ولم يدرِ ان الحب جمّ المطالب
فقالت له أحسنتَ ! أحسنت مبدِعاً
فيا لك ربّاً عبقريّ المواهبِ
ولكنّ لي أمنيّةً ما تحققت
إذا لم تُنِلْنيها فما أنت صاحبي !

★

فدنياك هذي على حسنها وسحر مشاهدها والصور

تشاركني سائر الآلهاتِ لذاذاتِها ونساءُ البشرْ

★

أريد دنيا فيها شعاعٌ يبقى إذا غابتِ النجومْ
أريدُ دنيا تُحسّ نفسي فيها نفوساً بلا جسومْ
أريدُ خمراً بلا كؤوسٍ من غير ما تُنبتُ الكرومْ
أريدُ عطراً بلا زهورٍ يسري وان لم يكن نسيمْ

★

وزادت فقالت : أريدُ أنيناً
يُشوّشِ روحي ولا مُحتَضَرْ
وماءً يموج ولا جدولٌ وناراً بلا حطب تستعرْ
فأطرق ذاك الالهُ الفتيّ وفي نفسه ألمٌ مستترْ

وقال : امهليني ثلاثَ ليالٍ اذلّل فيها المرادَ العسرْ !

★

وراح يجوب رحاب الفضاء
يحدوه شوقٌ ويدعوه سرْ
فسال مع الشمس فوق الربى
وغلغلَ في الحِنْدس المعتكِر
وأصغى إلى نَسمات المروج وأصغى إلى نفحات الزّهَرْ
وبعد ثلاث ليالٍ أتاها فظنته جاء لكي يعتذر
فقال : وجدتُ الذي تطلُبين
لدى شاعرٍ ساحرٍ مبتكرْ
وأخرج خيطاً قصير المدى
بلونِ الترابِ ولين الشّعَرْ

فلما رأته عراهــا الأســـى وغوّر إيمانهــا وانـــدثر

فصــاحت بغيظٍ : أتســخرُ مني ؟

إذن فاحمل العار ، أو فانتحر !

أجــاب : رُويـدك يـا ربّـــتي .

فمــا في التعجّــل إلا الضرر !

وشدّ إلى آلةٍ خيطَـــهُ ودغدغه صامتاً في حـذَرْ

فـفـاضت خمورٌ وســالت دموعٌ

وشعّت بُروق ولاحت صورْ !

فصاحت بــه وهي مدهوشــةٌ :

إلا ان ذا عــالمٌ مُختصَرْ !

فيا ليت شعريَ مــاذا يسمّى ؟

فقــال لهـا : ان هـذا الوتر !

عِش للجمال

عشْ للجمال تراه العين مؤتلقاً   في أنجم الليل أو زهر البساتينِ
وفي الربى نصبتْ كفّ الاصيل بها
سُرادقاً من نُضارٍ للرياحينِ
وفي الجبال إذا طاف المساء بها   ولفّها بسَرابيل الرهابينِ
وفي السواقي لها كالطفل ثرثرةٌ   وفي البروق لها ضحك المجانينِ
وفي ابتسامات «أيّار» وروعتها
فإن تولى، ففي أجفان «تِشْرينِ»

لا حينَ للحسن لا حد يقاس به وإنما نحنُ أهل الحدّ والحينِ
فكم تماوج في سربالِ غانيةٍ وكم تألق في أسمالِ مسكينِ
وكم أحسّ به أعمى فجُنّ له وحوله ألف راءٍ غير مفتون
عشْ للجمال تراهُ ههنا وهنا
وعشْ له وهو سرٌّ جدّ مكنون
خيرٌ وأفضل ممن لا حنين لهم إلى الجمال ، تماثيلٌ من الطينِ

وقـــائلة

وقائلةٍ : هجرت الشعر حتى　　تغنّى بالسخافات المغنّـــي
أتى زمنُ الربيع وأنت لاهٍ　　وقد ولّى ولم تهتفْ بلحـن ِ
ونفسك كالصدى في قاع بئرٍ　　ومثل الفجر ملتحفـاً بدجـن ِ
فما لك ليس يستهويك حسن　　وأنت المرء تعشق كل حسن
أتسكتُ والشباب عليك ضافٍ　　وحولك للهوى جنّـاتُ عدن؟
ركود الماء يورثهُ فساداً !　　فقلت لها : استكيني واطمئني

فما حطمتْ يدُ الايام روحي وان حطمتْ اباريقي ودنّي
ولم أعقد على خوفٍ لساني ولا ضنّاً على الدنيا بفنّي
ولكنّي امرؤ للناس ضحكي ولي وحدي تباريحي وحزني
إذا اشكو إلى خِدنٍ همومي
وفي وُسْعي السكوت ظلمت خدني
وتأبى كبريائي ان يراني فتى مغروروقاً بالدمع جفني
فأسترُ عبرتي عنه لئلا يضيق بها وإن هي أحرقتني
ويبكي صاحبي فأخالُ اني أنا الجاني وان لم يتّهمني
فأمسح أدمعاً في مقلتيه وان حكمت اللاهيب، وان كوتني
لأني كلّما رفّهتُ عنه طربتُ كأنني رفّهت عنّي
كذلك كان شأني بين قومي وهذا بين كل الناس شأني
أقول لكل نوّاحٍ رويداً فإن الحزن لا يُغني ، ويُضني

وجدتُ الدمع بالأحرارِ يُزري
فليت الدمعَ لم يُخلَقْ بجفنِ !

★

سبيلُ العزّ أن تبني وتُعلي فلا تقنعْ بأنّ سواكَ يبني
ولا تكُ عالةً في عنق جَدّ ٍ رميم العظم أو عِبئاً على ابن
فمن يغرِسْ لكي يجني سواهُ
يعشْ ، ويموتُ من يحيا ليجني !

★

ألائمتي اتركيني في سكوني ولومي من يضِجّ بغير طَحنِ
إذا صار السماعُ بلا قياسٍ فلا عجبٌ إذا سكتَ المغني

أنا ولئِن سكتّ وقالَ غيري

وجعجع صاحبُ الصوت الأرَنَ

إذا أنا لم أجد حقلاً مريعاً خلقت الحقل في روحي وذهني

فكادت تملأ الأثمارُ كفّي ويعبق بالشذى الفوّاح رُدني

مُومِيات

عرج صاحب الديوان في إحدى سفراته
على فندق فخم فلم ير إلا عجائز فقال :

لِمَنْ يضوعُ العبيرُ ؟ لمَنْ تغنّي الطيورُ ؟
لمن تُصفّ القناني ؟ لمن تُصبّ الخمورُ ؟
ولا جمالٌ أنيقٌ ولا شبابٌ نضير
بل مومياتٌ عليها أطالس وحرير
راحت تقعقعُ حولي فكاد عقلي يطير
ولاذ قلبي بصدري كأنه عصفور

لاحت له في الاعـالي	بواشـقٌ وصقـور
وقال: ضويقتَ فاهربْ!	قلتُ: الفرارُ عسير
ما لي جَناحٌ ولا لي	سيّارة ٍ أو بعـير
صبراً فهـذا بـلاءٌ	مُقَـدّرٌ مسـطور
ورحتُ أسـأل ربي	وهو اللطيف الخبير
أين الحسـان الصبايا	ان كان هذا النشور؟
ليت الحضورَ غيـابٌ	والغـائبينَ حضـور
بل ليت كلّ نسيـجٍ	براقـع وسـتور
فقـد أضرّ وآذى	عينيّ هـذا السفور

★

هذي العصورُ الخوالي	تطوفُ بي وتدور
من كل شمطاءَ ولّى	شـبابهـا والغـرور

كأنمــا الفم منهــا مقطّبٌ مــزرور
كأنمــا هو جــرحٌ مرّت عليــه شهور
يا طالب الشهد أقصرْ لم يبقَ إلا القفــير
كأنمــا الوجهُ منها قد عضّــه الزمهرير
كالبدر حــين تراهُ يُعينك « الناظــور »
تبدو لعينيك فيــه برازخٌ وبحـــور
وأنجُــدٌ ووهـــاد لكنّــهُ مهجور !
مثلُ المِسَنّ ولكن لا ماءَ فيه يمــور
ما للبعوضةِ فيــهِ قوتٌ بـل التضوير
ولا يؤثِّــر فيــهِ نابٌ ولا أظفــور
ولليــدين ارتعاش وللعظــامِ صريـر
أما العيونُ فغــارت ولا تزالُ تغـــور

مغاورٌ بل صحارى بل اكهفٌ بل قبور
والحصر عفواً وصفحاً ! كانت لهنّ خصور !

★

هنّ السّعالى ولكن سُعالهنّ كثير
حديثهنّ انتفاضٌ وضحكهنّ هرير
ومشيهنّ ارتباك وتارةً تقدير
يغضبن إن مال ظلٌّ وإن شدا شحرور
وإن تهادتْ غصونٌ وإن تسارى عبير
وإن تمايل عشبٌ وإنْ تماوجَ نور
فكل شيءٍ قبيحٌ وكلّ شيء حقير
وكيف يفرح قلب رجاؤهُ مدحور ؟

مــا للرمــادِ لهيبٌ   مــا للجليــد خريــر

★

من حولهنّ الاقاحي   والوردُ والمنثور
وهنّ مكتئبــاتٌ   كــأنهنّ صخور
لا يبتسمن لشيء   أمــا لهنّ ثغور ؟
بلى ، لهنّ ثغــورٌ   وإنّمـــا لا شعور !
كأنمّا الحسن في الأر   ضِ كلّــه تزويــر

★

في فنــدق أنا أم في   جهنّمٍ محشــور ؟
وهل أنا فيــه ضيفٌ   لســاعةٍ أم أســير
يا ليتــني لم أزرْهُ   وليتَـــهُ مهجــور
فليس يهنــأ فيــه   إلاّ الأصمّ الضرير

هـدايا العيد

خرج الناسُ يشترون هدايـا   العيدِ للأصدقاء والاحبابِ
فتمنيتُ لو تساعفني الدنيـــا   فأقضي في العيد بعض رغابي
كنْتُ أُهدي ، إذن ، من الصبر أرطا
لاً   إلى   المنشـــئينَ   والكتّـــابِ
وإلى كلّ نابغ عبقريٍّ   أمةً أهلها ذوو ألبـابِ
وإلى كلّ شـاعرٍ عربيٍّ   سلّةً من فواكه الألقـابِ

وإلى كل تاجرٍ حرم التـو فيق زقّيْن من عصير الكِذابِ
وإلى كل عاشق مقلةً تُبـ صرُ كم من ملاحةٍ في الترابِ
وإلى الغـادة الجميلة « مرآ ةً » تريها ضمائر العُـزّابِ
وإلى الناشئ الغرير مرانـاً وإلى الشيـخ عزمة في الشبابِ
وإلى معشر الكسالى قصوراً من لُجَيْنٍ وعسجد في السحابِ
علني استريـحُ منهم فقد صـا روا كظلي في جيئتي وذهابي
وإلى ذي الغنى الـذي يرهبُ الفقر ازديادَ الذي به من عذابِ
كلّمـا عدّ مالهُ مطمئناً أبصر الفقرَ واقفاً بالبـابِ
وإلى الصاحب المراوغ وجهـاً أسوداً حالكاً كوجهِ الغرابِ
فإذا لاح فرّت الناس ذُعراً من طريق المنافق الكـذّابِ
وإلى المؤمنين شيئاً من الشك وبعضَ الايمان للمرتـابِ
وإلى من يسبّني في غيابي شرفاً كي يصونه من سبابي

وإلى حاسديّ حمراً طويلاً ليدوم الأسى بهم مما بي
وإلى الحقل زهرهُ وحلاه من ندى لامعٍ ومن أعشابِ
فقبيح ان نرتدي الحلل القُشْـ ـبَ وتبقى الربى بغير ثيابِ
لم يكن لي الذي أردتُ فحسبي أنني بالمنى ملأتُ وطابي
ولو ان الزمان صاحبُ عقلٍ كنت أهدي إلى الزمان عتابي

الفراشة المحتضرة

لو كان لي غيرُ قلبي عند مرآكِ
لمـــا أضــاف إلى بلواهُ بلواكِ
فيمَ ارتجاجُك هل في الجو زلزلــة
أم أنتِ هــاربةٌ من وجه فتّــاكِ ؟
وكم تدورين حول البيت حــائرة
بنتَ الربى ، ليس مأوى الناس مأواكِ

قالوا فراشــةُ حقــلٍ لا غنــاءَ بهــا
ما أفقر الناس في عيني وأغناكِ !

سماءُ غاويةٍ ، أطوارُ شــاعرةٍ ،
على زهــادةِ عبّــادٍ ونسّــاكِ

طغراءُ مملكةٍ وشّى حواشيَهــا
مَنْ ذوّب الشمس ألواناً ووشّاكِ

رأيت أحــلام أهل الحبّ كلّهمُ
لمّــا مثلت أمامي عند شــبّاكي

من نائمين على ذُلّ ٍ ومتربــةٍ
ومن تِجَــار وأشرافٍ وأملاكِ

وقصّ شكواكِ قلبي قصة عجبــاً
من قبلِ ان سمعتْ أذناي شكواكِ

أليس فيك من العشـــاق حيرتهـــم ؟
فكيف لا يفهم العشاقُ نجواكِ ؟

★

حلمت أن زمـــان الصيف منصرم
ويلاه ! حقّقت الأيـــام رؤياكِ
فقد نعاه اليكِ الفجرُ مرتعشـــاً
وليسَ منعـــاه إلاّ بعض منعاكِ
فالزهر في الحقل أشـلاءٌ مبعثرةٌ
والطيرُ ؟.. لا طـائرٌ إلا جناحاكِ
مَدّ النهـــار إليه كفّ مختلسٍ
وفتّـــح الليـــلُ فيـــه عين سفّاكِ

شاء القضاءُ بأن يشقى فجرّده
من الحليّ وان تشقَي فأبقاكِ
لم يبق غيرك شيءٌ من محاسنه
ولا من العابدين الحسنَ إلاّكِ
تزوّد الناس منه الأنس وانصرفوا
وما تزوّد إلا اليأسَ جفناكِ

★

يا روضةً في سماء الروض طائرةً
وطائراً كالأقاحي ذا شذىً ذاكِ
مضى مع الصيف عهد كنت لاهية
على بساط من الأحلام ضحّاكِ

تمسينَ عنـد مجاري الماء نائمـــة

والأزاهر والاعشـاب مغــداكِ

فكلما سمعتْ أذناك ســاقيـــةً

حَثَثْتِ للسفح من شوقٍ مطاياكِ

وكلما نوّرت في السفح زنبقـــةٌ

صفقت من طربٍ واهتز عطفاكِ

فما رشفتِ سوى عطر ولا انفتحت

إلا على الحسن المحبوبِ عينـاكِ

وكم لثمت شـفاه الورد هائمـــة

وكم مسحت دموع النرجس الباكي

وكم ترجّحتِ في مهد الضياء على

توقيعِ لحن الصّبا أو رجعهِ الحاكي

★

وكم ركضت فأغريتِ الصغار ضحى
بالركض في الحقل ملهاهم وملهاكِ
منّوا بأسرهمُ إيـاكِ أنفسَهـم
فأصبحوا بتمنّـيهم أسـاراكِ
جروا قُصاراهمُ حتى إذا تعبـوا
وقفتِ ساخرةً منهم قُصَاراكِ
لولا جناحاكِ لم تسلم طريدتهم ،
قد نجّياكِ ، ولكن أين منجاكِ ؟
ها أنت كالحقل في نزع وحشرجة
وهت قواك كما استرخى جناحاكِ
أصبحت للبؤس في مغناكِ تائهةً
كأنه لم يكن بالأمسِ مغناكِ

★

فراشةَ الحقل .. في روحي كآبته
مما عراه ومما قد تولاّكِ
أحببتُه وهو دارٌ تلعبين بها
وسوف تَهواه نفسي وهو مثواكِ
قد بات قلبيَ في دنيا مشوشة
منذ التفتُّ إلى آثار دنياكِ
لا يستقرّ بها إلاّ على وجلٍ
كالطير بين أحابيلٍ وأشراكِ

★

خلتْ أرائك كانت أمس آهلةً
غنّاء ، فاليوم لا شادٍ ولا شاكِ
أرضٌ خلاءٌ وجوّ غير ذي ألقٍ
بلى ، هناك ضبابٌ فوق أشواكِ

فيا رياح الخريف العاتيات كفــى
عصفاً فقد كثُرت في الارض قتلاكِ
كيف اعتذارك إن قال الاله غداً :
هل الفَراشة كانت من ضحاياكِ ؟
يا نغمــةً تتلاشى كلما بعــدت
ان غبتِ عن مسمعي ما غاب معنـاكِ
مـا أقـدرَ اللهَ أن يحييك ثانيــة
مع الربيع كما من قبلُ سوّاكِ
فيرجـع الحقــل يزهو في غلائله
وترجعــين وأغشـاهُ فألقـاكِ !

ابتسم

قال : « السماءُ كئيبةٌ ! » وتجهّما
قلت ابتسمْ يكفي التجهّم في السما !
قال : الصّبا ولّى ! فقلت له : ابتسم
لن يُرجعَ الأسفُ الصّبا المتصرّما !
قال : التي كانت سمائي في الهوى
صارت لنفسي في الغرام جهنّما

خانتْ عهودي بعدمـــا ملّـكتـُهـا
قلبي ، فكيف أطيق أن أتبسّـما ؟
قلتُ : ابتسم واطرب فلو قارنتهـا
قضّيت عمرك كلّـــه متـألمـا !
قال : التجارةُ في صراعٍ هائلٍ مثلُ المسافر كاد يقتله الظما
أو غادةٍ مسلولةٍ محتاجـةٍ لدمٍ وتنفث ، كلما لهثت ، دما !
قلت : ابتسم ما أنت جالب دائها وشفائها ، فإذا ابتسمت فربما . .
أيكونُ غيرك مجرمـاً وتبيتُ في
وجل كأنك أنتَ صرت المجرما ؟
★
قال : العدى حولي علتْ صيحاتهم
أأُسَـرّ والاعداءُ حولي في الحمى ؟

قلت : ابتسم ، لم يطلبوك بذمّهم
لو لم تكن منهم أجلّ وأعظما !

★

قال : المواسم قد بدت أعلامها وتعرضت لي في الملابس والدُمى
وعليّ للأحباب فرضٌ لازمٌ لكن كفّي ليس تملكُ درهما
قلت : ابتسم ، يكفيك أنك لم تزل
حيـاً ولست من الأحبّة مُعدما !

★

قال : الليالي جرّعتني علقمـاً قلت : ابتسم ولئن جرعتَ العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنمـاً طرح الكآبة جانباً وترنّمـا
أتُراك تغنمُ بالتبرّم درهمـاً أم أنت تخسرُ بالبشاشة مغنما ؟
يا صاح ، لا خطر على شفتيك أن تتثلّما ، والوجه أن يتحطّمـا

فاضحك فإن الشُّهْب تضحك والدجى
متلاطمٌ ، ولذا نحبّ الأنجما !
قال : البشاشة ليس تسعد كائناً يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما
قلت : ابتسم ما دام بينك والردى
شبرٌ ، فإنك بعدُ لن تتبسّما !

لو أستطيعُ

لو أستطيع سكبت رو   حي خمرةً في كاسها
حتى إذا حال النوى   بيني وبين كِناسها
وتجاهلت أو أنكرتْ   أمري لدى جلاّسها
أطللتُ من أجفانهـا   وجريتُ مع أنفاسها !

يا نفس

يا نفسُ لو كنت ترين الشؤونْ   كما يراها سائرُ الناسِ
لما رماني بعضهم بالجنون   ولم أجدْ في الناس من باس

★

بالأمس مرّ الموكبُ الأكبرُ   فيه الفتى الراكبُ والناعلُ
وأقبلتْ غيدُ الحمى تخطِر   يهتِفنَ : عاد البطل الباسل
ما لك يا هذي لا تهتفين   لصاحب الدولة والباس ؟

فقلتِ لي ضاحكةً تسخرين: ويلكَ ! هذا قاتلُ الناس !

★

ومجلسٍ دارت بـه الاكؤس فشرب القوم ولم تشربـي
وامتلأت بالطرب الأنفس وأنت في صمتك لم تطربـي
كأنمـا غيّبكِ الحِنـدس أو تاهت اللّذات في سبسب
ما لك يا هـذي لا تضحكـينْ
للحَبَب الضـاحك في الكـاس ؟
قالت : نهـاني أنّ موجَ السنينْ
سيغمـرُ الأقـداح والحـاسي !

★

وسرتِ في الروضة شـاع الجمالْ
فيها ، وشـاع الحبّ بـين الطيورْ
ألطلّ فيها كدموع الـدلالْ والشوكُ فيها كحديث الغرورْ

مشيتِ في أرجائها كالخيال   يطوف في الظلماء بين القبور
كأنّما لا وردَ في الياسمين   كأنّما لا عطرٌ في الآسِ
ويحك ! لا في عزلتي تطربين   ولا إذا كنت مع الناسِ

★

كان زمانٌ كنتِ تستأنسين   بكل وهمٍ خادعٍ كالسرابْ
حتى إذا أسفر وجه اليقين   رأيتِه كالوهم شيئاً كِذاب
دنيا الورى ليلٌ وصبحٌ مبين   وليس في دنياك إلاّ الضباب
ما لاحت الأشجار للناظرين   إلا رأيتِ شبح الفاس !
ولا سمعتِ الكاس ذات الرنين
إلا سمعت حطمةَ الكاس !

★

مسختِ في عينيّ لونَ النهارْ   لمّا لمحت الليل بالمرصدِ

وماتَ في أذنيّ لحنُ الهزارْ لمّا سبقتَ الصمتَ للمنشدِ
فررتِ باللّذات قبل الفرار فضاع يومي حائراً في غـدي
خالفتِ مقياس الورى أجمعين فكيف يرضون بمقياسي ؟
ما برح الناس كما تعلمـــين ولم أزل فرداً من النــاسِ

الكنارُ الصّامِت

نسيَ الكنارُ نشيده ... فتعالَ كي ننسى الكنار
وليقذفِنّ بهِ المَلالُ ... من القصور إلى القِفار
ولترمينّ بريشهِ ... للأرضِ عاصفةُ النِفار
ولنستعضْ عنه بطيرٍ ... من لُجَيْنٍ أو نُضار
لا ، لا ، فإن سكت الكنا
رُ فلم يزلْ ذاك الكنار

أو كان فارَقهُ الصُدا حُ فلم يفارقه الوقارْ
صمتُ الكنـارِ ، وإنْ قسـَا
خـيرٌ من النَغَمِ المُعـــار
صبراً فسوف يعودُ للـ ـتغريدِ إن عادَ النهار

لم يَبْقَ غيرُ الكأسِ

لم يبقَ ما يُسليكَ غيرُ الكـاسِ
فاشربْ ، ودعْ للناسِ ما للناسِ!

ذهبَ الشبابُ على الشجون تبثّها
لأخٍ مؤاسٍ أو لغـير مؤاسِ

وعلى الحياة تحار في أطوارهـا
وتحار في تعليل كلّ نطـاسي

ثمّ استفقت وليس في روض المنى
إلاّ الضبابُ وغير شوك الياسِ
وجراحُ نفسٍ ينظر الآسي لها
فيعود محتاجاً لآخَرَ آسِ
ألحسّ مجلبة الكآبة والأسى
قمْ ننطلقْ من عالمِ الاحساسِ
وأرى السعادة لا وصول لعرشها
إلا بأجنحةٍ من الوسواسِ
فكأنّما هي صورةٌ زيتيّةٌ
للشطّ فيه مراكبٌ ومراسي
تبدو لعينيك السفائن عوّماً
وتكادُ تسمع رعشةَ الأمراسِ

لكن إذا أدنيتها ولمستها
لم تلقَ غيرَ الصبغِ والقرطاسِ
دنيا مزيفةٌ ودهرٌ ماذقٌ
ما في انفلاتك منهما من باسِ
إن اللذاذات التي ضيّعتها
رَجعتْ اليك عصارةً في الكاسِ
فاصبغ رؤاك بها تعدْ ذهبيّةً
عطريّةَ الألوان والأنفاسِ
واخلُق لنفسك بالمُدامة جنّةً
في الأربُع المهجورة الأدراسِ
ألحبُّ فيها بلبلٌ وخميلةٌ
وندىً وأضواءٌ على الأغراسِ

للقصر يخلُقه خيالك روعــةٌ
كالقصر من جُدُرٍ ومن آساسِ

★

يا أيهــا الســاقي أدرْ كاساتِهــا
كمشاعل الرهبان في الأغلاسِ
وانسَ الهموم فليس يسعد ذاكرٌ
واسقِ النجوم فإنهــا جلاّسي
واصرعْ بها عقل النديم ولبّـه
ما نغّص الحاسي كعقل الحاسي
واهجر أحاديث السياسة والألى
يتعلّقون بحبلِ كلّ سياسي

إني نبذتُ ثمارها مذ ذقتُهـا
ووجدت طعم الغدر في أضراسي
وغسلت منها راحتي فغسلتُها
من سائر الأوضار والأدناسِ

وتركتها لاثنين : غرٍّ ساذجٍ
ومشعْوِذٍ وكُذُبْذُبٍ دسّاسِ
يرضى لموطنه يصير مواطناً
وتصير أمّتُه إلى أجناسِ

ويبيعها بدراهم معدودةٍ
ولو انها جاءت من الخنّاسِ

ما للمنافق من ضميرٍ رادعٍ
أيّ الضمير لحيّة الاجراسِ ؟

★

ولربّ قائلة تعاتبني على
صمتي وبعض القول حزٌّ مواسي :
إثنان ما لاقيتُ أقسى منهما
صمت الدجى والشاعر الحسّاس
فأجبتها : أقسى وأهول منهما
في مِسمعي هذا العتاب القاسي
لم تعلمي ، والخير أن لا تعلمي ،
كم في السكوت فواجعاً ومآسي
قالت : أظنك قد نسيت . فقلت : لا
ما كنتُ بالناسي ولا المتناسي
لكنّ جرحاً كلّما عالجتهُ
غمر القنوط جوارحي وحواسي

ولو انّه في الرأس كنتُ ضمَدتُه
لكنّه في القلب لا في الراسِ

إن الألى قد كنت أرمي دونهم
غَلّوا يديّ وحطّموا أقواسي

واستبدلوا سيفي الجرازَ بأسيفٍ
خشبٍ وباعوا عسجدي بنحاسي

والطلّ غير الماس ، إلا أنهم
خدعوا برقرقة الندى عن ماسي

وإذا حسبت الروضَ تُغني صورةٌ
عنه فذلك مُنتهى الافلاسِ

أسَدُ الرّخام وان حكى في شكله
شكلَ الغَضنفر ليس بالفَرّاسِ

★

قد كان لي حُلمٌ جميلٌ مُونقٌ
فأضعتــه لمّـا أضعت نعـاسي
فكّرت فيما نحن فيــه كأمّـــةٍ
وضربت أخماسي إلى أسداسي
فرجعت أخيبَ ما يكون مؤمّلٌ
راجٍ وأخسرَ ما يكون الخاسي
نرجو الخلاص بغاشمٍ من غاشمٍ
لا يُنقــذ النخّاس من نخّاسِ
ونقيس ما بــين الثريّا والثرى
وأمورنا تجري بغير قياسِ
نغشى بلاد الناس في طلب العلى
وبلادنـــا متروكةٌ للنـــاسِ

ونكاد نفترش الثرى وبأرضنا
للأجنبيِّ موائــدٌ وكراسي

ونلوم هاجِرَهــا على نسـيانه
واللائم الناسين أوّل ناسي

ونبيت نفخَر بالصوارم والقنا
ورقابنـا ممـدودةٌ للفــاسِ

كم صيحةٍ للدهرِ في آذاننا
مرّت كما مرّت على أرمـاسِ

رأي الأكثرية

لما سألتُ عن الحقيقة قيلَ لي ألحقُ ما اتّفقَ السواد عليهِ
فعجبت كيف ذبحت ثوري في الضحى والهند ساجدةٌ هناكَ لديه
نرضى بحكم الاكثرية مثلما يرضى الوليد الظلمَ من أبويه
إمّا لغنمٍ يرتجيه منهما أو خيفةً من أن يساء إليه

كِتابي

وسائلةٍ : أيّ المذاهب مذهبي
وهل كان فرعاً في الديانات أم أصلا

وأيّ نبيٍّ مرسَلٍ أقتدي به
وأيّ كتابٍ منزلٍ عنديَ الأغلى ؟

فقلت لها : لا يقتني المرء مذهباً ،
وان جلّ ، إلاّ كان في عنقه غُلاّ

فما مذهب الانسان إلاّ زجاجة
تقيّده خمراً وتضبطه خلاّ
فإن كا قبحاً لم يبدّ لِه لونها
جمالاً ،ولا نُبلاً إذا لم يكن نُبلا
أنا آدميّ كان يحسب أنه
هو الكائن الأسمى وشِرعته الفضلى
وأنّ له الدنيا التي هو بعضها
وأن له الأخرى إذا صام أو صلّى
أمنّ على الصادي إذا ما سقيته
وألزِمه شكري ، ولست أنا الوبلا
وأزهى إذا أطعمت جوعانَ لقمةً
كأني خلقت الحبَّ في الحقل ، والحقلا

تتلمذت للانسان في الدهر حقبةً
فلقّنني غيّاً ، وعلّمني جهلا
نهانيَ عن قتل النفوس وعندما
رأى غرّةً منّي تعلّم بي القتلا !
وذمّ إليّ الرقّ ثُمّ استرقّني
وصوّرَ ظلماً فيه تمجيده عدلا
وكاد يريني الاثمَ في كلّ ما أرى
وكلّ نظامٍ غير ما سنّ مختلاّ
فصار الورى عندي عدوّاً وصاحباً
وأنفسهم صنفين علياء أو سفلى
وصرت أرى بغضاً وصرت أرى هوى
وصرت أرى عبداً وصرت أرى مولى

ويا رُبّ شرٍّ خلته الخيرَ كلّه
ويا رُبّ خيرٍ خلته نكبةً جُلّى
إلى أن رأيت النجم يطلع في الدجى
لذي مقلةٍ حسرى وذي مقلة جذلى
وشاهدت كيف النهر يبذل ماءهُ
فلا يبتغي شكراً ولا يدّعي فضلا
وكيف يزين الطلّ ورداً وعوسجاً
وكيف يروّي العارضُ الوعرَ والسهلا
وكيف تغذّي الارض ألأمَ نبْتِها
وأقبحه شكلاً كأحسنه شكلا
فأصبح رأيي في الحياة كرأيها
وأصبحتُ لي دينٌ سوى مذهبي قبلا

وصار نبيّي كل ما يطلق العقــلا
وصار كتابي الكونُ لا صحفٌ تُتلى

★

فديني كدين الروض يعبق بالشذى
ولو لم يكن فيه سوى اللصّ منسلاّ
فليست تخوم المالكيــهِ تخومــه
وإن له إنْ يعلموا غيرَهم أهلا
فكم هشّ للأنسام والنور والنــدى
وآوى إليه الطـير والذرَّ والنمــلا
وكم بعثتــه للحيــاةِ من البِــلى
قريحــة فنّانٍ فأورق واخضلاّ

وأصبح يُجلى « طيفه » في قصيدة
وفي رقعةٍ أو لوحةٍ « وهو » لا يجلى

وديني الذي اختار الغديرُ لنفسه
ويا حسنَ ما اختار الغديرُ وما أحلى !

تجيء اليه الطيرُ عطشى فترتوي
وان وردتهُ الإبل لم يزجرِ الإبْلا

ويغتسلُ الذئبُ الأثيمُ بمائهِ
فلا إثم ذا يُمحى ، ولا طهرُ ذا يبلى !

وديني كدين الشُّهب تبدو لعاشقٍ
وقالٍ ، وفيها ما يُحَبّ وما يُقلى

فما استترت كيما يضِلَّ مُسافرٌ
ولا بزغت كي يستنيرَ الذي ضلاّ

وليس لهـا أن تمنع الناسَ ضوءهـا
ولو فتلوا منـهُ لتكبيلهـا حبـلا

وديني كدين الغيث ان سحّ لم يبلْ
أروّى الأقاحي أم سقى الشوك والدفلى

فلم يتخيّر في الفضـاء مسـيرَه
ولم ينهمر جوداً ولم ينحبسْ بخـلا

وان لم أكن كالروض والنجم والحيا
فحسبي اعتقادي ان خطّتها المثلى

*

يرى النحلَ غيري إذ يرى النحلَ حائماً
وأبصرُ قرص الشهد إذ أبصرُ النحلا

وألمح واحاتٍ من النخل في النـوى
إذا جرف الاعصار من واحتي النخـلا

وإن أشربِ الصهباءَ أعلمُ انـــني
شربت بشاشات الزمان الذي ولّـى

وما همســته الريـحُ في أذُن الثرى
وما ذرفَتْ في الليل نجمته الثكلى

وغصّات من ماتوا على اليأس في الهوى
فيا شاربيها هل لمحتَم دمَ القتـلى ؟

وان مرّ بي طفلٌ رأيت بـــه الورى
من المَثَل الأدنى إلى المَثَل الاعلى

فيا لكِ دنيـا حسنها بعضُ قبحها
ويا لك كوناً قد حوى بعضُه الكـلاّ

كُنْ بلسماً

القصيدة التي ألقاها صاحب الديوان في المأدبة الكبرى التي أقامتها الطائفة الارثوذكسية على شرف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس ابو رجيلي في بروكلن – نيويورك .

كن بلسماً انصار دهرُك أرقما وحلاوةً ان صار غيرك علقما
ان الحياة حبتك كل كنوزها لاتبخلن على الحياة ببعض ما ..
أحسنْ وان لم تُجزَ حتى بالثنا أيّ الجزاء الغيثُ يبغي إن همى

من ذا يكافئ زهرةً فوّاحةً؟ او مَنْ يثيبُ البلبلَ المترنما؟
عُدّ الكرامَ المحسنين وقِسْهمُ بهما تجد هذين منهم أكرما
يا صاحِ خذ عِلم المحبّة عنهما إني وجدتُ الحبّ علماً قيّما
لو لم تفح هذي وهذا ما شدا ، عاشت مذمّمةً وعاش مذمّما
فاعمل لإسعاد السِّوى وهنائهم ان شئت تسعد في الحياة وتنعما

★

أيقظْ شعورك بالمحبّة إن غفا
لولا الشعورُ الناسُ كانوا كالدمى
أحببْ فيغدو الكوخ كوناً نيّراً
أبغضْ فيمسي الكون سجناً مظلما
ما الكأس لولا الخمر غير زجاجةٍ
والمرء لولا الحبّ إلا أعظُما

كره الدجى فاسودّ إلا شهبه بقيت لتضحك منه كيف تجهّما
لو تعشق البيداء أصبحَ رملها زهراً، وصار سرابها الخدّاعُ ما
لو لم يكن في الأرض إلا مبغض لتبرّمت بوجوده وتبرّما
لاح الجمال لذي نُهى فأحبّه ورآه ذو جهلٍ فظنّ ورجّما
لا تطلبنّ محبّةً من جاهلٍ المرء ليس يحبّ حتّى يفهما
وارفقْ بأبناء الغباء كأنهم
مرضى ، فإنّ الجهل شيءٌ كالعمى
والهُ بورد الروض عن أشواكه وانسَ العقارب ان رأيت الأنجما

★

يا من أتانا بالسلام مبشراً هشّ الحمى لما دخلت إلى الحمى
وصفوكَ بالتقوى وقالوا جهبذٌ علاّمةٌ ، ولقد وجدتك مثلما

لفظٌ أرقّ من النسيم إذا سرى
سَحَرَاً ، وحلوٌ كالكرى ان هوّمـا
وإذا نطقتَ ففي الجوارح نشـوةٌ
هي نشوةُ الروحِ ارتوت بعد الظما
وإذا كتبت ففي الطروس حدائق
وشّى حواشيها الـيراعُ ونمنما
وإذا وقفت على المنـابر أوشكتْ
أخشابهـا للزهو ان تتكلمـا
ان كنت قد أخطاك سربال الغنى
عاش ابن مريم ليس يملكُ درهما
وأحبَّ حتى من أحبّ هلاكه وأعان حتى من أساء وأجرما
نام الرعاة عن الخِراف ولم تنم فإليك نشكو الهاجعين النوّما

عبدوا الاله لمغنمٍ يرجونــــهُ وعبدت ربّك لست تطلب مغنما
كم روّعوا بجهنّمٍ أرواحنـــا فتألّمت من قبل أن تتألّما !
زعموا الاله أعدّها لعذابنا حاشا، وربّك رحمةٌ، أن يظلما
ما كان مَن أمَرَ الورى أن يرحموا
أعـــداءهم إلاّ أرقّ وأرحمــــا
ليست جهنّمُ غيرَ فكرةِ تــاجرٍ
الله لم يخلــق لنـــا إلاّ السما

الخمرُ والدّنيا

يشربُ بنتَ الكرم بعض النـاسِ
لكربـةٍ في النفس أو وسواسِ
وبعضهمْ لأنه قــد ظفـرا وبعضهمْ لأنه قد خسرا
وبعضهمْ لأنه في فـرحِ وبعضهمْ لأنـه في تـرحِ
وبعضهمْ كي يستردّ الأمسا وبعضهمْ يجرعها كي ينسى
وبعضهمْ ليستفيدَ قـوّهْ وبعضهمْ لسـورة الفتوّهْ

وبعضهمْ كيما يحل مشكلهْ وبعضهمْ لأنه لا شغل لهْ

وبعضهمْ عن رغبة وعن هوى

وبعضهمْ لعلّه يُرضي السّوى

وبعضهمْ من حبّه للبائعِ وبعضهمْ نكايةً للمانعِ

وبعضهمْ يشربها أحيانا وبعضهمْ في أي وقت كانا

وبعضهمْ مع صحبه في الدار وبعضهمْ في حانة الخمّار

وبعضهمْ في زمرة الندمانِ وبعضهمْ في وحدة الرهبان

وبعضهمْ في الصيف ذي الرمضاء

وبعضهمْ في زمن الشتاء

وبعضهمْ عند انجياب الظّلمهْ

وبعضهمْ عند طلوع النجمهْ

وبعضهمْ يذمّها استهجانا وبعضهمْ يمدحها استحسانا

لكنهم كلّهمُ يحسـوهـا المـادحوهـا والمقبّحوهـا
فما وجـدتُ في زمـاني رجـلا
وقلت : هـل تحبّها ؟ فقال : لا
وسرّ هـذا أنها كالدنيـا تؤذي ولكن مع أذاها تُهوى

لَمّا

عجباً لمن أمسى وكلّ فخاره بنضاره المخبوء في الصندوقِ
ماذا يقول إذا اللصوص مضَوا بــه
وأقــام بعــد نضاره المسروقِ ؟
إن يرفعِ المالُ الكريم فانــه للنذل مثل الحبل للمشنوقِ
لمّــا صديقي صار من أهل الغنى
أيقنتُ أني قد أضعتُ صديقي !..

تأمُّلات

ليت الذي خلق الحياة جميلةً   لم يسدل الأستار فوق جمالها
بل ليتهُ سلبَ العقول فلم يكن   أحدٌ يعلّلُ نفسه بمناها
لله كم تُغري الفتى بوصالها   وتضنّ حتى في الكرى بوصالها
تدنيه من أبوابها بيمينها   وتردّهُ عن خِدرها بشمالها
كم قلت هذا الأمرُ بعض صوابها   فوجدته بالخِبْر بعض محالها
ولكم خُدعت بآلها وذممتُهُ   ورجعتُ أظمأ ما أكون لآلها

قد كنت أحسبني أمنت ضلالها فإذا الذي خمّنت كل ضلالها

إن النفوسَ تغرّها آمالهـــا وتظلّ عاكفةً على آمالهـــا

ذهب الصبا وأنا أعالج سرّهـا متحيراً في كنهها ومآلِهـــا

حتى رأيتُ الشمس تلقي نورها في الأرض فوق سهولها وجبالها

ورأيتُ أحقرَ ما بناه عنكـبٌ متلففاً ومطوّقـاً بحبالهـــا

مثل القصورِ العالياتِ قبابُهـا الشامخاتِ على الذرى بقلالهـا

فعلمتُ أن النفسَ تخطر في الحلى

والوشي مثل النفسِ في أسمالهـــا

ليست حياتُكَ غير ما صوّرتها أنت الحياة بصمتها ومقالِهـا

ولقد نظرتُ إلى الحمائم في الربـى

فعجبتُ من حـال الأنام وحالهـــا

للشوك حظ الورد من تغريدهـا وشريكهُ من بعدُ في إعوالهـا

٧

تشدو وصائدها يمدّ لها الردى   فأعجب لمحسنةٍ إلى مغتالهـــا
فغبطتُها في أمنها وسلامهــا   ووددتُ لو أعطيت راحة بالها
وجعلت مذهبها لنفسي مذهباً   ونسجت أخلاقي على منوالها
من لجّ في ضيمي تركت سماءه   تبكي عليّ بشمسها وهلالها
وهجرتُ روضته فأصبح وردها   لليأس كالأشواك في أدغالهـــا
وزجرتُ نفسي أن تميل كنفسه   عن كوثر الدنيا إلى أوحالهـــا
نسيانك الجاني المسيءَ فضيلةٌ   وخمودُ نارٍ جدَّ في إشعالها
فاربأ بنفسك والحياةُ قصيرة   أن تجعل الأضغان من أحمالها

★

زمنَ الشبابِ رحلتَ غير مذمّمٍ
وتركتَ للحسرات قلبي الوالها
دبّت عقاربها اليه تنوشه ورمت بقاياه إلى أصلالها
لم يبقَ من لذّاته إلا الرؤى ومن الصبابة غيرُ طيف خيالها
ومن الكؤوس سوى صدى رنّاتِها
والراح غيرُ خمارها وحباها
يا جنّةً عوجلتُ عن أثمارها ولذاذةً عُرّيتُ من سرباها
ما عابها شيءٌ سوى اضمحلالها
والذنبُ للأقدار في اضمحلالها

✶

ومليحةٍ في وجهها ألَقُ الضحى
والسحرُ والصهباء في أقوالها

قالت : أينسى النازحون بلادهم ؟

ما هاج حزن القلب غير سؤالها

الأرض ، سوريّا أحبّ ربوعها عندي ، ولبنانٌ أعزّ جبالها

والناس أكرمهم عليّ عشيرها روحي الفداء لرهطها ولآلها !

والشهب أسطعها التي في أفقها ليس الجلال الحقّ غير جلالها

وأحبّ غيثٍ ماهمى في أرضها حتّى الحيا الباكي على أطلالها

مرح الصبا الجذلان في أسحارها ومنى الصبا الولهان في آصالها

إني لأعرف ريحها من غيرها بنوافح الأشذاء في أذيالها

تلك المنازل كم خطرتُ بساحها في ظلّ ضيغمها وعطف غزالها

وشدوت مع أطيارها ، وسهرت مع

أقمارها ، ورقصتُ مع شلاّلها

وسجدتُ للإلهام مع صفصافها وضحكت للأحلام مع وزّالها

وملأتُ عقلي من حديث شـيوخها
وأخذتُ شِعْري من لغى أطفالهـا

تشتاق عيني قبل يغمضها الردى لو أنها اكتحلت ولو برمالهـا
مرّت بيَ الأعوام تقفو بعضها وثْب القطا تعدو إلى آجالهـا
وتعاقبت صورُ الجمال فلم يدُم في خاطري منها سوى تمثالها

شاعِرالشُّهور

«ايار» يا شاعر الشهورِ وبسمة الحبّ في الدّهورِ
وخالقَ الزهر في الروابي وخالقَ العطر في الزهورِ
وباعث الماء ذا خريرٍ وموجد السِّحر في الخرير
وغاسلَ الأفق والدراري والأرض ، بالنور والعبير
لقد كسوتَ الثرى لباساً أجملَ عندي من الحرير
ما فيك قرٌّ ولا هجيرٌ ذهبتَ بالقرِّ والهجيرِ

فلا ثلوجٌ على الروابـــي ولا غمـامٌ على البــدورِ
أتيت فالكون مِهرجـانٌ من اللـذاذات والحبـورِ
أيقظتَ في الأنفس الأمـاني والابتسامات ِفي الثغــورِ
وكــدت تحيي الموتى البــوالي
وتُنبتُ العشبَ في الصخـــورِ
وتجعلُ الشوك ذا أريــجٍ وتجعل الصخرَ ذا شــعورِ
فأينما سرتُ صوتُ بشرى وكيفما ملتُ طيـف نـورِ
تشكو اليك الشـتاءَ نفسي وما جنـاهُ من الشرورِ
كم لذّعَ الزمهريرُ جلدي ودبّ حتى إلى ضمـيري
فلـُذتُ بالصوف أتّقيـهِ فاخترق الصوفَ كالحريرِ
وكم ليالٍ جلستُ وحـدي منقبض الصـدر كالأسـيرِ
يهتزّ مع أنملي كتـابــي ويرجفُ الحبرُ في السطورِ
تُعوِلُ فيها الرياح حولي كنائحـاتٍ على أمــيرِ

والغيث يهمي بلا انقطاع والرعد مستتبعُ الزئيرِ
والليل محلولك الحواشي وصامت البدءِ والأخيرِ
والشهب مرتاعةٌ كطيرٍ مخبّئاتٍ من الصقورِ
في غرفتي موقدٌ صغيرٌ لله من موقدي الصغيرِ !
يكاد ينقدّ جانباهُ من شدّة الغيظ لا السعيرِ
لولا لظاهُ رقصتُ فيها بغير دَفٍّ على سريري
وساعةٍ وجهها صفيقٌ كأنه وجهُ مستعيرِ
أبطأ في السير عقرباها فأبطأ الوقت في المسيرِ
حتى كأن الزمان أعمى يمشي على الشوك في الوعورِ
كنّا طوينا المنى وقلنا : ما للأمانيّ من نشورِ
فلو يزور الصدورَ حلمٌ عرّج منها على قبورِ
لقد تولى الشتاء عنّا فصفّقي يا منىً وطيري !.

الكأس الباقية

دمعة على جبران خليل جبران

أيّها الشاعرُ الذي كان يشدو
بين ضاحٍ من الجمالِ وضاحكْ
جللٌ أن يصيدك القدَرُ الأعمى ويمشي مقصُّه في جناحك
موكبُ الشعرِ تائهٌ في فضاء ليس فيه سوى حطيمِ سلاحك
والبساتينُ — والبلابلُ فيها تتغنّى — حزينةٌ لرواحك

قنعت بالنواحِ منك فلمّـــا زال عاشت بذكريات نواحك
والدجى –والنجوم تسطعُ فيه – واجمٌ حسرةً على مصباحك
تلمس العينُ أينما لمســـته جمراتِ التياحنا والتياحك
قــد تولّت جلالــة السـحرِ عنــه
واضمحلّت مذ صار غير وشاحك

*

هبطت ربّة الحياةِ لكي تســ ـكبَ خمرَ الجمال في أقداحك
فإذا أنتَ في السريرِ مسجّـى صامتٌ كالطيوف في ألواحك
فتولّت مـــذعورةً تلطــم الوجـ
ـهَ وتبكيكَ ، يا قتيل سماحك !
سبقتْها الإلاهةُ الموتِ كي تحـ ـظى ولو باليسيرِ من أفراحك

ويحها ! ويح حبّها من أثيمٍ طردتنا ولم تقمْ في ساحك

أيبست روضك الجميل ، ولم تظـ
ـفر بغيـر التراب من أدواحـك

ذهَبَ الموت بالكؤوس جميعـاً
غير كـأسٍ ملأتها من جراحك

الشجاعُ

لا أحبّ الإنسانَ يرضخ للوهـ ـمِ ويرضى بتافهاتِ الأماني
إنّ حيّاً يهابُ أن يلمس النور كميتٍ في ظلمةِ الاكفانِ
وحياةً أمدّ فيها التوقّي لا توازي في المجدِ بضعَ ثوان
الشجاعُ الشجاعُ عندي مَن أمـ ـسى يغنّي والدمع في الأجفان

أبي

طوى بعضَ نَفسي إذ طواك الثرى عني
وذا بعضها الثاني يفيض بهِ جفني
أبي ! خانني فيك الردى فتقوّضتْ
مقاصيرُ أحلامي كبيتٍ من التبنِ
وكانت رياضي حالياتٍ ضواحكاً
فأقوَت وعفّى زهرها الجزعُ المضني

وكانت دناني بالسرورِ مليئةً
فطاحت يدٌ عمياءُ بالخمرِ والدّنِّ
فليس سوى طعم المنيّةِ في فمي
وليس سوى صوت النوادب في أذْني
ولا حَسنٌ في ناظريّ وقلّما
فتحتُهما من قبل إلاّ على حُسنِ
وما صُوَرُ الأشياء بعدك غيرَها ولكنّما قد شوّهتها يدُ الحزنِ
على منكبي تبرُ الضحى وعقيقهُ وقلبيَ في نارٍ وعينايَ في دجنِ
أبحثُ الأسى دمعي وأنهبته دمي
وكنت أعدّ الحزن ضرباً من الجبنِ
فمستنكرٌ كيف استحالت بشاشتي
كمستنكرٍ في عاصفٍ رعشةَ الغصنِ

يقول المعزّي ليس يجدي البكا الفتى
وقول المعزّي لا يفيدُ ولا يُغني

★

شخصتُ بروحي حائراً متطلّعاً
إلى ما وراء البحر أدنو وأستدني
كذات جناحٍ أدرك السيلُ عشّها
فطارت على روعٍ تحوم على الوكن
فواهاً لو اني كنتُ في القومِ عندما
نظرتَ إلى العوّادِ تسألهم عنّي
ويا ليتما الأرض انطوى لي بساطها
فكنتُ مع الباكينَ في ساعةِ الدفنِ

لعلّي أفي تلك الأبوّة حقّهـــا
وإن كان لا يُوفى بكيلٍ ولا وزنِ
فأعظمُ مجــدي كان أنك لي أبٌ
وأكبر فخري كان قولك : ذا إبني !
أقول : لو اني .. كي أبرّد لوعتي
فيزداد شجوي كلّما قلت : لو أني !
أحتّى وداعُ الأهل يُحرَمه الفتى ؟
أيا دهرُ هذا منتهى الحيفِ والغبنِ !
أبي ! وإذا مــا قلتهــا فكــأنني
أنادي وأدعو يا ملاذي ويا ركني
لمن يلجأ المكروبُ بعدك في الحمى
فيرجــع ريّانَ المنى ضاحكَ السنّ ؟

خلعتَ الصبا في حومة المجد ناصعاً
ونُزّه فيك الشيبُ عن لوثةِ الأفْنِ
فذهنٌ كنجم الصيف في أوّل الدجى
ورأيٌ كحدّ السيف أو ذلك الذهنِ
وكنتَ ترى الدنيا بغير بشاشةٍ
كأرضٍ بلا ماءٍ وصوتٍ بلا لحنِ
فما بك من ضرٍّ لنفسك وحدها
وضحكك والايناس للجار والخدنِ
جريءٌ على الباغي ، عيوفٌ عن الخنا ،
سريعٌ إلى الداعي ، كريمٌ بلا منّ
وكنتَ إذا حدّثتَ حدّثَ شاعرٌ
لبيبٌ دقيقُ الفهم والذوق والفن

فما استشعرَ المصغي إليك ملالةً
ولا قلتَ إلاّ قال، من طربٍ : زدني !

★

برغمكَ فارقتَ الربوع وإننا
على الرغمِ منّا سوف نلحقُ بالظعنِ
طريقٌ مشى فيها الملايينُ قبلنا من الملكِ السامي إلى عبده القِنّ
نظنّ لنا الدنيا وما في رحابها وليست لنا إلاّ كما البحرُ للسفْن
تروحُ وتغدو حرّةً في عبابه
كما يتهادى ساكن السجن في السجنِ
وزنتُ بسرّ الموت فلسفةَ الورى
فشالت وكانت جعجعاتٍ بلا طحنِ

فأصدقُ أهل الأرضِ معرفـةً به
كأكثرهم جهـلاً يرجّمُ بالظّنِ
فذا مثل هذا حائرُ اللبّ عندَه وذاك كهذا ليس منهُ على أمنِ
فيا لك سفراً لم يزلْ جدّ غامضٍ
على كثرة التفصيل في الشرح والمتنِ
أيا رمز لبنـانٍ جـلالاً وهيبـةً
وحصن الوفاء المحض في ذلك الحصنِ
ضريحك مهما يستسرّ وبلدةٌ أقمت بها تبني المحامدَ ماتبني
أحبُّ من الأبراج طالت قبابهـا
وأجمل في عينيّ من أجملِ المدْنِ
على ذلك القبرِ السـلامُ فـذكره
أريـجٌ بـه نفسي عن العطرِ تستغني

ذِكرى

إني امرؤ لا شيءَ يُطرب روحَـهُ
ويهزّهـا كالزهرِ والألحـانِ
اللحنُ من قمريّة أو منشدٍ والزهرُ في حقلٍ وفي بستانِ
هذا يحركُ بي دفينَ صبابتي ويهزّ ذاك مشاعري وكياني
يهوى الملاحة ناظري صوراً تُرى
وأحبّها في مسمعيّ أغاني

وأحبّها نوراً جميلاً صافياً متألّـقاً في النفسِ والوجدانِ
وأحبّها سحراً يرفُّ مع الندى ويموجُ في الألوان كالألوانِ
وأحبّهــا ذكرى تطيف بخـاطري
لأخٍ هويتُ ، وغـادةٍ تهواني
أو مجلس للحبّ في ظل الصبا إن الحياة جميعها هـــذانِ
أو في خيالِ منازل أشــتاقها كم من جمالٍ في خيالِ مكان
ولقد نظرتُ اليكمُ فكأنمـــا أنا في الربيـع وفي ربى لبنـان
أصغي إلى النسمات تروي للربى ما قالت الأشجارُ للغـدران
وإلى السواقي وهي تنشد للصبا والحبِّ ، في الفتيات والفتيان
وإلى الأزاهرِ كلما مرت بهـا عذراء ذات ملاحة وبيـانِ
متهامساتٍ : « ما نظنّ (فلانـةً)
أحداً بها أولى من (ابن فلانِ)

يا ليتَ ينثرنا الغرامُ عليهما من قبل ينثرنا الخريفُ الجاني »

ألفت مجـاورةَ الأنـام فأصبحت
وكـأنهـا شيءٌ من الانسـانِ

فإذا نظرت اليهما متـأمّـلاً
شـاهدتَ حولك وحـدة الأكوانِ

ياجنّتي

لمّا رأيتُ الورد في خــدّيكِ   وشقائق النعمان في شـفتيكِ
ونشـقتُ من فوديك ندّاً عـاطراً
لمّا مشـت كفّـاكِ في فـوديكِ
ورأيت رأسك بالأقاح متوّجاً   والفلّ طاقاتٍ على نهـديكِ
وسمعتُ حولكِ همس أرواح الصبا
عند الصباحِ تهزّ من عطفيكِ

أيقنت أنك ِجنّةٌ خلاّبــةٌ فحننت من بعد المشيب اليكِ
ولذاك قد صيّرتُ قلبي نحلةً يا جنتي كيما يحوم عليكِ
روحي فداؤكِ إنهــا لو لم تكــن
في راحتيكِ هوتْ على قــدميك

الشاعرُ في السّماء

رآنيَ اللهُ ذات يـــومٍ في الأرض أبكي من الشقاءْ
فرقّ ، واللهُ ذو حنـان على ذوي الضرّ والعنـاءْ
وقال : ليس الـترابُ داراً للشعر ، فارجع إلى السماءْ !
وشادَ فوقَ السّماكِ بيتي ومـدّ ملكي على الفضاءْ
فـالتفّت الشـهب حـول عرشي
وسـار في طـاعتي الضيـــاءْ

وصرتُ لا ينطـــوي صبـــاحٌ
إلاّ بأمـــري ولا مســـاءْ
ولا تسوق الغيومَ ريـــحٌ إلاّ ولي فوقهـــا لـــواءْ
فالأمرُ بين النجومِ أمـــري لي الحكم فيهـــا ولي القضاءْ

★

لكنني لم أزل حزينــــاً مكتئبَ الروح في العـــلاءْ
فاستغرب اللهُ كيف أشقى في عـــالم الوحي والســـناء
وقال : مـــا زال آدميّـــاً يصبو إلى الغيدِ والطـــلاء
ومسّ روحي واستلّ منها شوقي إلى الخمر والنســـاء
وظنّ اني انتهى بلائـــي فلم يزدني ســـوى بـــلاء
واشتد نوحي وصار جهـراً وكان من قبل في الخفـــاءْ

وصار دمعي سيولَ نـــارٍ وكان قبلاً سيولَ مـــاءْ

★

يا أيهـا الشـاعرُ المعنّـى حيّـرني داؤك العيـــاءْ

هل تشــتهي أن تكون طـيراً ؟

فقلتُ : كلا ، ولا غنـــاءْ !

هـل تشـتهي أن تكون نجمـاً ؟

أجبتُ : كـلا ، ولا بهـــاءْ !

هل تبتغي المـال ؟ قلت : كلا

مـــا كـان من مطلبـي الـثراءْ

ولا قصوراً ، ولا رياضـــاً ولا جنوداً ولا إمـــاءْ

وليس ما بي يا ربّ داءً ولا احتيـــاجي إلى دواءْ

ولا حنيني إلى القنـــاني ولا اشتياقي إلى الظبـــاءْ

ولا أريد الذي لغيري ذا حكمةٍ كان أم مضاء
لكنّ أمنيّةً بنفسي يسترها الخوف والحياءْ !
فقال : يا شاعراً عجيباً
قل لي إذن ما الذي تشاءْ !
فقلت : يا ربّ فصل صيفٍ
في أرض لبنان أو شتاءْ
فانني ههنا غريبٌ وليس في غربةٍ هناءْ !
فاستضحك الله من كلامي وقال : هذا هو الغباءْ
لبنان أرضٌ ككل أرضٍ وناسهُ والورى سواءْ
وفيه بؤسى وفيه نعمى وأردياءٌ وأتقياءْ
فأيّ شيءٍ تشتاق فيه ؟ فقلت : ما سرّني وساءْ
تحنّ نفسي إلى السواقي ، إلى الأقاحي ، إلى الشذاءْ

إلى الروابي تَعرى وتكسى   إلى العصـافير والغنـاء
إلى العناقيدِ والدوالي   والماءِ والنورِ والهواءْ !
فأشرف الله من علاهُ   يشهدُ «لبنانَ» في المساءْ
فقال : ما أنتَ ذا جنونٍ   وإنما أنت ذو وفاءْ
فإن لبنان ليس طوداً ،   ولا بلاداً ، لكن سماءْ !

كلوا واشربوا

كلوا واشربوا أيها الأغنيـاء وإن ملأ السكك الجائعـون
ولا تلبسوا الخزّ إلا جديـداً وإن لبس الخِرقَ البائسونْ
وحُـوطوا قصوركمُ بالرجال وحوطوا رجالكم بالحصون
فلا تبصرون ضحايا الطوى ولا يبصرون الـذي تصنعون
وإن ساءكم أنهم في الوجـود وأزعجكم أنهم يعولـون
مُـروا فتصولَ الجنود عليهم تعلـّمهم كيف فتْك المنونْ

فهم معتدون، وهم مجرمون، وهم مقلقون ، وهم ثائرون

وتلك العصيّ لتلك الرؤوس وتلك الحراب لتلك البطـون
وتلك السجون لمَنْ شدتموها إذا لم تزجّوهمُ في السجون!
كلوا للظبى حلقَ هاماتِهمْ فإن الملوك كذا يفعلونْ
إذا الجند لم يحرسوكم وأنتم سراة البلاد فمن يحرسونْ ؟
وإن همُ لم يقتلوا الأشقياء فياليت شعريَ من يقتلون ؟
ولا يحزننّكمُ موتهمْ فإنهمُ للردى يُولدونْ
وقولوا كذا قد أرادَ الالهُ وإن قدّر الله شيئاً يكون
ويا فقراءُ لماذا التشكّي ؟ ألا تستحون ؟ ألا تخجلون ؟
دعوا الأغنياء ولذّاتِهم فهم مثلَ لذّاتهم زائلون
سيمسون في «سقرٍ» خالدين
وتمسون في جنّةٍ تنعمونْ
فلا تعطشون ، ولا تسغبون ، ولا يرتوون ، ولا يشبعون

لكم وحدَكمْ ملكوتُ السماء فما بالكم لستمُ تقنعونْ ؟
فلا تحزنوا أنكم ساهرون فسوف تنامون ملء الجفون
ستتّكئون مع الانبياء تُظلِّلكمْ وارفات الغصون
يضوعُ السنا حولكم بالشذى وتجري الطلا أنهراً وعيون
وتسقيكم الخمرَ حورٌ حسان كما يشتهين ، كما تشتهون
كذا وَعدَ الله أهل التقى وأنتم همُ أيها المتعبون
ألا تؤمنون بقولِ الكتاب ؟ فويل لكم إنكم كافرون !

حَديثُ مَوْجة

قالها في حفلة تكريم سامي الشوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها .

عندي لكم نبأ عجيبٌ شيّقُ سأقصّـه وعليكمُ تفسيره ُ
إني رأيت البحرَ أخرسَ ساهيـاً
كالشيخِ طالَ بما مضى تفكيره ُ

فسألتُ نفسي حائراً متلجلجاً
يا ليت شعري أين ضاع هديرهُ ؟
« بالأمس » قالت موجةٌ ثرثارةٌ
ومضت ، فأكملت الحديثَ صخورهُ :
بالأمس مرّ بنا فتى من قومكم رقّت شمائلهُ ودقّ شعورهُ
مترنّح من خمرةٍ قدسيّةٍ فيها الهوى وفتونهُ وفتورهُ
مترفّقٍ في مشيه يطأ الثرى وكأنما بين النجوم مسيرهُ
يلهو بأوتار الكمنجة والدجى مرخيّةٌ فوق العبابِ ستورهُ
يُهدي إلى الوطن القديم سلامه
ويناشدُ الوطنَ الذي سيزورهُ
فشجا الخضمَّ نشيدهُ وهتافه
فسها ، فضاع هديره وزئيرهُ

أعرفتموه ؟.. إنه هذا الفتى　　هذا الذي سحر الخضمّ مروره
« داود » والمزمار في نغماته　　و « الموصليّ » ومعبد وسريره
يا ضيفنـــا ، والأنسُ أنت رسولهُ
　　وبشـيرهُ ، والفنّ أنتَ أمـيرهُ
لو شاع في الفردوس أنك بيننا　　لمشت الينا سافراتٍ حورهُ
ذهب الربيع وجئتنا فكأنمـا　　جاء الربيع زهوره وطيورهُ
الفنّ هشّ اليك في أمرائهِ　　وتفتّحت لك دوره وقصورهُ
إن الجواهرَ بالجواهرِ أنسُـها　　أما التراب فبالتراب حبورهُ
يا شـاعر الألحان إني شـاعرٌ　　أمسى ضئيلاً عند نورك نورهُ
أسمى الكلامِ الشعرُ إلا أنـه　　أسماه ما أعيا الفتى تصويره
وأحبّ أزهـارِ الحـدائق وردُها
　　وأحبّ من وردِ الرياض عبيرهُ

أنت الفتى لك في النسيم حفيفه   ولك الغديرُ صفاؤه وخريرهُ
القوم صاغيةٌ اليك قلوبهم   والليل منصتةٌ اليك بُدورهُ
وبهذه الاوتار سحرٌ جائلٌ   متململٌ كالوحي حان ظهوره
إن كنت لا تهتاجهُ وتثيرهُ   فمَن الذي يهتاجهُ ويثيره؟
دغدغْ بريشتك الكمنجة ينطلق   ويدبّ في أرواحنا تأثيرهُ
وامشِ بنا في كل لحنٍ فاتنٍ
كالماء يجري في الغصون ظهورهُ
وأدر على الجلاّس أكواب الهوى
في راحتيك سلافهُ وعصيرهُ
فيخفّ في الرجل الحليم وقارهُ
ويراجعَ الشيخ المسنّ غرورهُ
وتنامَ في صدر الشجيّ همومُه   ويفيقَ في قلب الحزين سروره

هذي الجموع الآن شخص واحد
لك حكمهُ وكما تشاء مصيرهُ

إن شئتَ طال هتافه ونشيده أو شئت دام نواحه وزفيره
إنا وهبناك القلوبَ ولم نَهِب إلا الذي لك قبلنا تدبيرهُ!

ابسمي

ابسمي كالوردِ في فجر الصباءْ وابسمي كالنجم إن جنَّ المساءْ
وإذا ما كفّن الثلجُ الثرى وإذا ما سترَ الغيمُ السماءْ
وتعرّى الروض من أزهاره وتوارى النور في كهف الشتاءْ
فاحلمي بالصيف ثم ابتسمي تخلقي حولك زهراً وشذاءْ
وإذا سرّ نفوساً أنّها تُحسنُ الأخذ فسرّي بالعطاءْ
وإذا أعياكِ أن تعطي الغنى فافرحي أنّك تعطين الرجاءْ

مُجاهِـــد

ألقى صاحب الديوان هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين في مسرح « اكادمي أوف ميوزك » في بروكلين لفقيد الأمة الكبير المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

قالوا قضى « موسى » فقلت قد انطوى
عَلَمٌ ، وأغمِد صارمٌ بتّارُ
فتشوّشت صُوَرُ المنى وتناثرت
كالزهر بدّد شملها الاعصارُ

وكـأنّما وَتـرَ الردى كلّ امرئ
لمّـا تَوَلّى ذلـكَ الجبّـارُ
جزعت لمصرعه البلادُ كأنّما قد غابَ عنها جحفلٌ جرّارُ
وبكت « فلسطينٌ » به قيدومها إنّ الرزايا بالكبار كبـارُ
لمّا نعوه نعوا الينـا سيّداً شَرُفت خلائقه وطاب نجارُ

*

لَبِس الصبا ونضاهُ غيرَ مدنّسٍ
كالنجمِ لم تعلـقْ بهِ الأوضـارُ
ومشى المشيبُ برأسهِ فإذا بهِ كالحقلِ فيهِ الزهرُ والأثمارُ
وتطاولت أعوامهُ ، فإذا بهِ كالطودِ فيه صلابةٌ ووقارُ
ترتدّ عنهُ العاصفاتُ كليلةً ويزلّ عنه العارضُ المدرارُ
أوذي فلم يجزع ، وضيم فلم يهنْ إنّ الكريمَ على الأذى صبّارُ

صقلتْ مكافحةُ الشدائدِ نفسه والروضُ تجلو حسنَهُ الأمطارُ
فله مُن الشيخ الأصالةُ ، والفتى إقدامُه ، إذ للفتى أوطارُ
يتهيّب الفجّارُ صدقَ يقينه وبرأيه يسترشدُ الأحرارُ
ما زالَ يزأر دون ذيّاك الحمى كالليث ريعَ فما له استقرارُ
ويجشّم النفسَ المخاطرَ هادئاً كيلا تُلمّ بقومه الأخطارُ
حتى استقرّ به الردى في حفرةٍ وخلا ، لغير جواده ، المضمارُ
فاعجبْ لمن ملأ المسامع ذكرُه تطويه في عرض الثرى اشبارُ !

★

أيّار مذكورٌ بحسن صنيعه ولئن تولّى وانقضى أيّارُ
فاخدم بلادَك مثل «موسى كاظمٍ»
تسبغْ عليك ثناءها الأمصارُ
إنّ السنينَ كثيرُها كقليلها إن لم تزنْ صفحاتِها الآثارُ

فاصرف عنانك في الشباب إلى العلى
بُرْدُ الشبيبة كالجمال مُعارُ
لا تقعدنّ عن الجهاد إلى غدٍ فلقد يجيء غدٌ وأنتَ غبارُ
ماذا يفيدك أن يكون لك الثرى ولغيرك الآصالُ والأسحارُ
مَنْ ليس يفتحُ للنهارِ جفونهُ هيهاتَ يكحلِ مقلتيهِ نهارُ

✶

واحببْ بلادك مثل «موسى كاظمٍ»
حبّاً بهِ الاخلاصُ والايثارُ
تضفرْ لرأسك من أزاهرها الرّبى
تاجاً ، وتهتفْ باسمك الأغوارُ
إيّاك ترمقها بمقلةِ تاجرٍ إنّ اتّجارَك بالمواطن عارُ
ودعِ المنافقَ لا تثقْ بعهوده وطنُ المنافق فضّةٌ ونضارُ

مترجرج الأخلاقِ ، أصدقُ وعده
آلٌ ، وخيرُ هباتهِ الأعذارُ
يدنو اليك بوجههِ متودّداً وفؤاده بك هازئ سخّارُ
هو حين يجري مع هواهُ خائنٌ وإذا سمتْ أخلاقهُ سمسارُ
كم معشرٍ خلناهمُ أنصارنا فإذا همُ لعُداتنا أنصارُ
رقَد العدى فتحمّسوا ، حتّى إذا
جدّ الوغى ركبوا العقابَ وطاروا !
شرٌّ من الخصم اللدود على الفتى الصاحبُ المتذبذبُ الخوّارُ
وحذارِ أشراكَ السياسة إنّها بنتٌ أبوها الزئبقُ الفرّارُ
فيها من الرقْطاء ناقعُ سمّها ولها نيوبُ الذئب والأظفارُ
تردُ المناهلَ وهي ماءٌ سائغٌ وتعودُ عنها والمناهلُ نارُ
الكذبُ والتمويه خيرُ صفاتها وشعارُها أن لا يدومَ شعارُ

لا تطلبنّ من السياسةِ رحمةً هي حيثُ طُلّ دمٌ وحلّ دمارُ
الصَّيد غيرك إن سهرتَ، فان تنم فالصيد أنتَ ولحمك المختارُ
يا قومنا !.. إنّ العدو ببابكم بئس المغير على البلاد الجار
وله بأرضكمُ طماعة أشعبٍ ورواغُه، ولكيدهِ استمرارُ
لا ترقدوا عنه فليس براقدٍ أفتهجعونَ وقد طمى التيّارُ!
إنّ الطيورَ تذودُ عن أوكارها أتكون أعقلَ منكمُ الأطيارُ؟
سيروا على آثار موسى واعملوا إن شئتمُ ان لا تضيع ديارُ
زوروا ثراه واستمدّوا قوّةً منه فكم أحيا الهوى التذْكارُ
قبرٌ يفوحُ الطيبُ من جنباته قبرُ الكريم خميلةٌ معطارُ
فإذا تمرّ عليه يوماً نسمةٌ أرَجتْ كأنّ حجارهُ أزهارُ

الكريم

قالوا : ألا تصفُ الكريمَ لنا ؟ فقلتُ على البديهْ :
إنّ الكريمَ لكالربيعِ ، تحبّهُ للحسنِ فيهْ
وتهشّ عندَ لقائه ، ويغيبُ عنك فتشتهيه
لا يرتضي أبداً لصاحبهِ الذي لا يرتضيه
وإذا الليالي ساعفته لا يُدلّ ولا يتيه
وتراهُ يبسمُ هازئاً في غمرةِ الخطبِ الكريه
وإذا تحرّقَ حاسدوهُ بكى ورقّ لحاسديه
كالوردِ ينفحُ بالشذى حتى أنوف السارقيه

لُبْنان

اثنانِ أعيا الدهرَ أن يبليهمـــا   لبنانُ والأملُ الذي لذويهِ
نشتاقهُ والصيف فوق هضابه   ونحبّه والثلجُ في واديـهِ
وإذا تمدّ له ذُكاء حبالهـــا   بقلائد العقيانِ تسـتغويـه
وإذا تنقّطه السماءُ عشــيةً   بالأنجم الزهراء تسترضيه
وإذا الصبايا في الحقول كزهرهـــا
يضحكنَ ضحكـاً لا تكلّف فيــه

هنّ اللواتي قد خلقن لي الهوى وسقينني السحر الذي أسقيهِ
هذا الذي صان الشبابَ من البلى
وأبى على الأيّام أن تطويهِ

✶

ولربما جبل أشبّهه به مسترسلاً مع روعة التشبيهِ
فأقول يحكيه ، واعلمُ أنه مهما سما هيهات أن يحكيهِ
يا لذةً مكذوبةً يلهو بها قلبي ويعرف أنها تؤذيهِ
إني أذكّره بذياك الحمى وجمالهِ وإخالني أنسيهِ
وإذا الحقائق أحرجت صدر الفتى
ألقى مقالدَهُ إلى التمويهِ
وطني ستبقى الأرضُ عندي كلّها
– حتى أعود اليه – أرضَ التيهِ

سالوا الجمالَ فقال : هذا هيكلي
والشِعرُ قال : بنيتُ عرشي فيهِ

★

الأرض تستجدي الخضمّ مياهَه
وكنوزَه والبحرُ يستجديهِ
يمسي ويصبح وهو منطرحٌ على
أقدامه طمعاً بما يحويهِ
أعطاه بعض وقاره حتى إذا استجداه ثانيةً سخا ببنيهِ
لبنان صن كنز العزائم واقتصد أخشى مع الاسراف أن تفنيهِ

★

غيري يراه سياسةً وطوائفاً ويظلّ يزعم أنه رائيهِ
ويروح من اشفاقه يبكي له لبنان أنت أحق أن تبكيهِ

لا يسفرُ الحسن النزيه لناظرٍ ما دام منه الطرفُ غيرَ نزيهِ

★

قل للألى رفعوا التخومَ لأرضه ضيّقتمُ الدنيا على أهليهِ
ولمن يقولون : الفرنجُ حماتهُ الله قبل سيوفهم حاميهِ

★

يا صاحبي يهنيك أنك في غدٍ ستعانق الأحباب في ناديهِ
وتلذّ بالأرواح تعبق بالشذى وتهزّك الأنغامُ من شاديهِ
إن حدّثوكَ عن النعيم فأطنبوا فاشتقتَه لا تنس أنك فيه !

أنتِ والكأس

أنتِ والكأسُ في يدي فلمَن أنتِ في غدِ ؟
فاستشاطت لقولتي غضباً في تمرّدِ
وأشاحت بوجهها وادعت أنّني ردي !
كاذبٌ في صبابتي ماذقٌ في تودّدي
قلتُ : عفواً فانها سَورةٌ من معربدِ
وجرى الصلحُ والتقى ثغرَها ثغريَ الصدي

أذعن القلبُ طائعاً بعدَ ذاك التمرّدِ
فنعمنا هنيهةً بالولاءِ المجدّدِ
بين ماء مصفّق وهزارٍ مغرّدِ
ثمّ عادت وساوسي فأنا في تردّدِ
راعها منّيَ السكوتُ فذمّت تبلّدي
قالت : الحبّ سرمدٌ قلتُ : لا شيء سرمدي
أتحبّينني إذا زال مجدي وسؤددي؟
فأجابت لفورها أنتَ ، لا المجد ، مقصدي
قلت : هل تحفظين عهدي إذا ضاع عسجدي ؟
فأجابتْ برقّةٍ أنت ، ما عشت ، سيّدي
كنتَ كالشمس في الغنى أم فقيراً كجدجدِ
حسناً . قلت ضاحكاً : يا ملاكي وفرقدي

إنما هل يدوم لي حبّك المشرقُ الندي
إن حنى الدهرُ قامتي ومحا الشّيبُ أسودي
وانطوى رونق الصبا مثلَ برق بمدفدِ
قالت : الشكّ آفةُ الـ ـحبِّ فانبذهُ تسعدِ
ليسَ حبّيك الصبا لستَ فيه بأوحدِ
بل لما فيك من صفا تٍ ومن طيبِ محتدِ
قلتُ والشكّ رائحٌ في ضميري ومغتدِ :
وإذا غالني الحما مُ وأصبحت في غدِ
جثّةً لفّها الثرى بالظلام المؤبّد
ليسَ فيها لصاحبٍ أربٌ أو لحسّدِ
وسرى الدودُ حولها يتغذّى ويعتدي
ومررتِ الغداةَ بي فمررتِ بجلمدِ

ونظرتِ فلم تري غير عظمٍ مجرّدِ
بعثرته يدُ البلى كنفايات موْقدِ
هل تحبينني إذن لخلالي ومحتدي ؟
ويك ! صاحت ودمعها كجمانٍ مبدّدِ
كم تظنّ الظنون بي
أيها الزائغُ اهتدِ
أشهد الصبحَ فائضاً في مروج الزبرجدِ
أشهد الليل لابساً طيلسان التمرّدِ
أشهد الغيثَ معطياً أشهدُ الحقل يجتدي
وذواتِ الجناح من باغمٍ أو مغرّدِ
والازاهيرَ والشذى في وهادٍ وأنجدِ
أُشهدُ الأرضَ والسما أُشهدُ اللهَ مُوجدي

سوف أحيا كما ترى للهوى والتوجّدِ
فأناجيك في الضحى وهو أمراسُ عسجدِ
وأناجيك في المسا والأصيلِ المورّدِ
في الربى تخلع الجما لَ بروداً وترتدي
والسواقي لها غِناءٌ كألحان معبدِ
والعصافيرُ أقبلت نحوها للتبرّدِ
أسهرُ الليلَ وحشةً بفؤادٍ مشدّدِ
وإذا نمتُ نمتُ كي يطرقَ الطيفُ مرقدي
فيظلّ الهيامُ بي ينتهي حيثُ يبتدي
وبحزنٍ تنهدتْ فاستجاشت تنهّدي
فاعتنقنا سُويعةً مثل جفنَي مسهّدِ

★

أفلتَ الأمسُ هارباً وغَدٌ ؟ ليس من غدِ !
صرتُ وحدي وليس لي أربٌ في التّوحّدِ
يا نديمي إلى الكؤو س ويا منشدُ انشدِ
زدْ ليَ الخمرَ كلما قلت : «يا صاحبي زدِ»
لا تقلْ أيّ موسمٍ ذا ، فذا يوم مولدي !
أنا ، ما زلت في الحيا ة ، لي شبابي وسؤددي
وبجَيني وعسجدي وخلالي ومحتدي
إنما «تلك» أخلفت قبل ليلين موعدي
لم تمت .. لا ، وإنما أصبحت في سوى يدي

*

آفةُ الحبِّ أنه في قلوبٍ وأكبدِ
فهوَ كالنارِ لم تدم في هشيمٍ لموقدِ

الشبابُ والحُبّ

بكيتَ الصبا من قبلِ أن يذهب الصبا
فيا ليت شعري ما تقول إذا ولّى ؟
توهمتَه يبقى إذا أنت صُنتَـــهُ
عن الشفةِ الحمراء والمقلةِ الكحلا
وخلتَ الهوى جهلاً فلم يكن الهوى
أخيراً سوى الأمر الذي خلتَهُ جهلا

خشيتَ عليه ان يطوِّحـهُ الهـوى
فألقاك هذا الخوفُ في الهوّة السفلى
أتلجمُ ماءَ النهر عن جريانـه
مخافةَ أن يفنى ؟ إذن فاشرب الوحـلا
سيبلى الصبا مهما حرصت على الصبا
فدعهُ يذوق الحبّ من قبل أن يبلى

*

فما ديمةٌ صبّت على الصخر ماءها
فما أنبتت زهراً ولا أطلعت بقـلا
بأضيعَ من بُرد الشباب على امرئ
إذا استطعَمَتْه النفسُ أطعمها العذلا

*

فلا تك مثلَ الاقحوانــةِ راعهــا
من الحقل ان تُجنى فلم تسكن الحقلا
وأعجبها الوادي فــلاذت بقــاعهِ
فجاء عليها السيلُ في الليــل واستتلى
فما عانقت نورَ الكواكب في الدجى
ولا لثمتْ فجراً ولا رشفتْ طَــلاّ
وزالت فلم يستشعر النورُ والنــدى
على فقدها غمّــاً كأنْ لم تكن قبلا
ولا تكُ كالصــدّاح إذ خــال أنه
إذا اذْدَخرَ الألحانَ أكسبها نُبلا
فضنّ بها والشمسُ تنثر تبر هــا
وفضّتَها والأرضُ ضاحكة جذلى

فلما مضى نوْر الربيع عن الربى
ودبّ إلى أزهارها الموتُ منسلاّ
تحفّز كي يشـدو فلم يلقَ حولـه
سوى الورق الهاوي كأحلامه القتلى،

الغابة المفقودة

يا لهفةَ النفسِ على غابـــةٍ كنتُ وهنداً نلتقي فيهـــا
أنا كما شاء الهوى والصبـــا وهيَ كما شاءت أمانيهـــا
تكادُ من لطف معانيهـــا يشربهـــا خاطرُ رائيهـــا
آمنتُ باللهِ وآياتـــهِ أليس أنّ الله باريهـا ؟

*

نباغتُ الأزهارَ عند الضحى متّكئاتٍ في نواحيهـــا

ألوى على الزنبقِ نسرينها والتفّ عاريها بكاسيها
واختلجت في الشمسِ ألوانها كأنها تذكر ماضيها
تآلفت فالماء من حولها يرقصُ والطيرُ تغنّيها
مَنْ لقّنَ الطيرَ أناشيدها ؟ وعلّم الزهرَ تآخيها ؟
يا هندُ هذي معجزاتُ الهوى وإنّها فينا كما فيها
لا يستحي الزهرُ بإعلانها فما لنا نحن نواريها ؟
وتهتِفُ الطيرُ بها في الربى فما لنا نحن نعمّيها ؟
للهِ في الغابة أيّامُنا ما عابها إلاّ تلاشيها
طوراً علينا ظِلّ أدواحها وتارةً عطفُ دواليها
وتارةً نلهو بأعنابها وتارةً نحصي أقاحيها
تسكتُ إذ نشكو شحاريرُها كأنّما التغريدُ يؤذيها
وإن تضاحكنا سمعنا الصدى يضحكُ معنا في أقاصيها

وإن مشينا فوقَ كثبانها لاحتْ فشاقتنا أدانيها
وفوقنا الأغصانُ معقودةٌ ذوائبٌ طال تدلّيها
إذا هززناها على غرّةٍ ألقتْ من الذعرِ لآليها
نسيرُ من كهفٍ إلى جدولٍ نكتشفُ الأرضَ ونطويها
والنورُ عطرٌ في تعاريجها والعطرُ نورٌ في حواشيها
وتختبي هند فأشتاقها وأختبي عنها فأغريها
كم أوهمتني الخوفَ من طارئ
تشجي بذا نفسي فتشجيها
فرحتُ أعدو نحوها مشفقاً فكان ما حاذرتُ تمويها !
فاعجبْ لأطواري وأطوارِها تعبثُ منّي وأجاريها !

*

الله لو دام زمـــان الهـــوى ودام من هندٍ تجنّيهـــا
لا غابتي اليوم كعهدي بهـا ولا التي أحببتهـا فيهـــا
ولا تلالٌ كنهود الدمى ولا سفوح كتراقيهـــا
ولا الندى درٌّ على عشبهـا ولا الأقاحي في روابيهـا
ولا الضحى يُلقي على أرضها شباكَ تبرٍ من أعاليهـــا
أهبَطني أمسِ إلى حضنهـا شوقي إلى سجعِ قماريهـا
فلمْ تخمّشني بأوراقهـــا ولمْ تهلّلْ لي سواقيهـــا
قد بدّلَ الانسانُ أطوارهـا واغتصب الطيرَ مآويهـا
وفتّ بالباروِد جلمودهـا واجتثّ بالفـأسِ دواليها
وشادَ من أحجارها قريةً سكّانها الناسُ وأهلوها

★

يا لهفةَ النفسِ على غابـــةٍ كنتُ وهنداً نلتقي فيهـا
جنّةُ أحلامي وأحلامهـا ودارُ حبّـي وتصابيهـا
نبكي من اليأسِ على شوكهـا وكانَ يدميني ويـدميهـا
كانت تغطّينا بأوراقهـا فصارت الدورُ تغطّيها !

أبو غازي

أبا غازي السلامُ عليك منّا وعفواً أيّها الملكُ الهمامُ
فما ضاقَ الكلامُ بنا ولكن وجدنا الحزنَ أرخصهُ الكلام
وخطبك لا يفيهِ دمعُ باكٍ ولو أنّ الذّي يبكي الغمام
ونحنُ أحقّ أن نُبكى ونُرثى فموتك من بني العربِ انتقام
خبا نبراسنا ، والليل داجٍ ، وموجُ الحادثاتِ له التطام
وكنتَ لنا الدليل ، فغبت عنّا وكنت حسامنا ، فنبا الحسام!

كأنّك قد وترتَ الموتَ قدماً وهابك في كنانتك السهامُ
فدبّ اليك مثلَ اللص ليلاً وكان الموتُ ليس لهُ ذمام
طوى الدنيا نعيّك في ثوانٍ فريعَ البيت والبلد الحرام
و «دجلة» كالطعينِ له أنينٌ
وفي «بردى» التياعٌ واضطرام
ورحنا بين مصعوقٍ وساهٍ كمن صرعت عقولَهمُ المدام
كأنّ الأرض قد مادت وفُضّتْ
عن الموتى الصفائح والرجام
فمن للبيض والجرد المذاكي ؟ و «فيصل» بات يحويه الرّغام
ومن للحق ينشرهُ لواءً به للناس هديٌ واعتصام
توارى المجد في كفنٍ ولحدٍ وغابت في التّراب منىً عظام
مضى وحديثه في الناس باقٍ
كعمرِ الشمس ليس لهُ انصرام

فيا جدثاً حواهُ لستَ قبراً ولكن أنت في الدنيا وسامُ

★

حياتك « يا أبا غازي » حياةٌ كفصل الصيف : زهروابتسام

وقد تُحصى الكواكبوالأقاحي ولا تحصى أياديك الجسام

مددتَ إلى منى العرب الغوافي يداً ، فتفتقت عنها الكمام

وأمسى بندهمْ وله خفوقٌ وأمسى عقدهمْ ولهُ نظام

وكم أسقمتَ جسمك كي يصحّوا

وحالفتَ السهادَ وهم نيام

وكم جازيتَ عن شرٍّ بخيرٍ وكم جازاكَ بالغدرِ الأنام

خُذلتَ فما عتبتَ على صديقٍ ولم تحنقْ وقد كثُرَ الملام

وكم قد فزت في حربٍ وسلم فلم يلعبْ بعِطفيك العُرام

خلائق من له عِرقٌ كريمٌ وخطة من له قلبٌ عصام

خذوا الخُلُقَ الرفيع من الصحارى

فانّ النفسَ يفسدها الزحام

وكم فقَدت جلالَتها قصورٌ ولم تفقدْ مروءَتها الخيامُ

*

وقالوا اندكّ عرشُكَ في دمشقٍ

كأنّ العرشَ أخشابٌ تُقام

وكيف تهدّ سدّتكَ العوالي ولم يسلبْكها الموتُ الزؤامُ

فما كان انتصارهمُ علاءً ولا كان انكسارُكَ فيه ذامُ

إذا لم تنصر الأرواح ملكاً فأحسنُ ما حوى جثث وهامُ

وما زالت لك الأرواح فيها وما زالت عشيرتك الشآم

تصفّق لاسمك الأمواهُ فيها ويهتف في خمائلها الحمامُ
ويذكر أهلها تلكَ السجايا فيشرق من تذكّرِها الظلام
وليس أحبّ من حرٍّ مؤاسٍ إلى شعبٍ يُساء ويستضام

★

فقلْ للساخطين على الليالي ومن سكنوا على يأسٍ وناموا
سينحسر الضبابُ عن الروابي ويبدو الوردُ فيها والخزام
ويصفو جوّنا بعد انكدارٍ ويسقي أرضَنا المطر الرّهام
ونرجع أمّةً تُرجى وتخشى وإن كرهَ الزعانف والطّغام

فلسطين

ديارُ السلامِ ، وأرض الهنـــا   يشقّ على الكلّ أن تحزنـا
فخطب فلسطين خطبُ العلى   وما كان رزء العلى هيّنـــا
سهرنا له فكأنّ السـيوفَ   تحزّ بأكبـــادنا ههنـــا
وكيفَ يزور الكرى أعينـاً   ترى حولها للردى أعينـا
وكيفَ تطيب الحياة لقومٍ   تُسدّ عليهم دروب المنى
بلادهمُ عرضةٌ للضّيــاعِ   وأمّتهمْ عرضةٌ للفنـا

يريد اليهود بأن يصلبوهـا   وتأبى فلسطين أن تذعنا
وتأبى المروءة في أهلهـا   وتأبى السيوف ، وتأبى القنا
أأرضُ الخيالِ وآياتـه   وذاتُ الجلالِ ، وذات السنا
تصيرُ لغوغائهمْ مسرحاً   وتغدو لشذّاذهم مكمنا

★

بنفسيَ « أردنُّها » السلسبيل   ومن جاوروا ذلك الأردنا
لقد دافعوا أمس دون الحمى   فكانت حروبهمُ حربنا
وجادوا بكلّ الذي عندهمْ   ونحن سنبذلُ ما عندنا
فقلْ لليهودِ وأشياعهم   لقد خدعتكمْ بروقُ المنى
ألا ليت « بلفور » أعطاكمُ   بلاداً له لا بلاداً لنا
« فلندنُ » أرحبُ من قدسنا   وأنتمْ أحبّ إلى « لندنا »
ومنّاكمُ وطناً في النجوم   فلا عربيَّ بتلك الدنى

أيسلبُ قومَكمُ رشدَهم ويدعوهُ قومكمُ محسنا ؟
ويدفعُ للموتِ بالأبرياء ويحسبهُ معشرٌ ديّنا ؟
ويا عجباً لكمُ توغرون على العربِ «التاميز والهدسنا»
وترمونهمْ بقبيحِ الكلامِ وكانوا أحقّ بضافي الثنا
وكلّ خطيئاتهم أنّهم يقولون : لا تسرقوا بيتنا
فليست فلسطين أرضاً مشاعاً فتعطى لمن شاء أن يسكنا
فان تطلبوها بسمرِ القنا نردّكمُ بطوالِ القنا
ففي العربيّ صفاتُ الأنامِ سوى أن يخافَ وأن يجبنا
وإن تخجلوا بيننا بالخداعِ فلن تخدعوا رجلاً مؤمنا
وإن تهجروها فذلك أولى فإنّ «فلسطينَ» ملكٌ لنا
وكانت لأجدادنا قبلنا وتبقى لأحفادنا بعدنا
وإنّ لكمْ بسواها غنىً وليس لنا بسواها غنى

فلا تحسبوها لكم موطناً فلم تكُ يوماً لكم موطنا
وليس الذي نبتغيه محالاً وليس الذي رمتمُ ممكنا
نصحناكمُ فارعووا وانبذوا « بليفور » ذيّالك الأرعنا
وإما أبيتمْ فأوصيكمُ بأن تحملوا معكمُ الأكفنا
فإنّا سنجعلُ من أرضها لنا وطناً ولكمْ مدفنا !

الغِبطةُ فِكرة

أقبل العيدُ ، ولكن ليس في النـاس المسرّهْ
لا أرى إلاّ وجوهـاً كالحـاتٍ مكفهـرّهْ
كالركايا لم تـدع فيهـا يـد المـاتح قطرهْ
أو كمثلِ الروض لم تترك بـه النكباء زهرهْ
وعيوناً دَنقت فيهـا الأمـاني المستحرّهْ
فهي حيرى ذاهلاتٌ في الذي تهوى وتكرهْ

وخدوداً باهتاتٍ قد كساها الهمّ صُفرهْ
وشفاهاً تحذرُ الضحك كأن الضحك جمرهْ
ليس للقومِ حديث غير شكوى مستمرّهْ
قد تساوى عندهم لليأس نفعٌ ومضرّهْ
لا تسلْ ماذا عراهم كلّهم يجهلُ أمرهْ
حائر كالطائر الخائف قد ضيّع وكرهْ
فوقهُ البازيّ ، والأشراك في نجدٍ وحفرهْ
فهو إن حطّ إلى الغبراء شكّ السهم صدرهْ
وإذا ما طار لاقى قشعمَ الجوّ وصقرهْ
كلّهم يبكي على الامس ويخشى شرّ «بُكرهْ»
فهمُ مثل عجوزٍ فقدت في البحر إبرهْ

*

أيها الشاكي الليالي إنما الغبطةُ فكره
ربما استوطَنتِ الكوخَ وما في الكوخ كسره
وخلتْ منها القصور العالياتُ المشمخره
تلمسُ الغصنَ المعرّى فاذا في الغصن نضره
وإذا رفّت على القفر استوى ماءً وخضره
وإذا مسّت حصاةً صقلتها فهي درّه
لك ، ما دامت لك ، الأرض وما فوق المجرّه
فاذا ضيّعتها فالكونُ لا يعدلُ ذرّه
أيها الباكي رويداً لا يسدّ الدمع ثغره
أيها العابسُ لن تعطى على التقطيبِ أُجره
لا تكن مرّاً ، ولا تجعل حياة الغير مرّه
إنّ من يبكي له حولٌ على الضحك وقدره

فتهلّلْ وترنّم فالفتى العابسُ صخرهْ
سكن الدهرُ وحانت غفلة منه وغِرّهْ
إنه العيدُ .. وإن العيد مثل العرسِ مَرّهْ

الفتى الأفضل

(معربة)

مضى زمن كان فيه الفتى يباهي بما قومه أثّلوا
ويرفعهُ في عيون الانامِ ويخفض من قدره المنزل
فلا تقعدنْ عن طلابِ العلى وتعذلْ بلادك إذ تعذلُ
فإن الخلائق حتّى عداك متى ما سبقتهمُ هللّوا
فثابرْ بجدٍّ على نيلها فليس يخيب الذي يعملُ

وكن رجلاً ناهضاً ينتمـي إلى نفسه عندما يُسـأل
فلستَ الثيابَ التي ترتـدي ولستَ « الأسامي » التي تحمل
ولستَ البلاد التي أنبتتـك ولكنما أنت مـا تفعـل
إذا كنت من وطنٍ خامـلٍ وفزت فأنت الفتى الأفضل

مَنْ أنا

أنا . من أنا يا ترى في الوجود ؟
وما هو شأني وما موضعي ؟
أنا قطرة لمعت في الضحى قليلاً على ضفة المشرعِ
سيأتي عليها المساء فتغدو كأن لم ترقرق ولم تلمعِ
أنا نغمة وقّعتها الحياة لمن قد يعي ولمن لا يعي
سيمشي عليها السكوت فتمسي
كأن لم تمرّ على مسمعِ

أنا شبحٌ راكض مسرعٌ مع الزمن الراكض المسرعِ
سيرخى عليه الستارُ ويخفى كأنْ لم يجدّ ولم يهطعِ
أنا موجةٌ دفعتها الحياةُ إلى أوسعٍ فإلى أوسعِ
ستنحلّ في الشطّ عما قليل كأن لم تدفّعْ ولم تدفعِ
فيا قلب لا تغترِرْ بالشبابِ ويا نفس بالخلد لا تطمعي
فأن الكهولةَ تمضي كما تولّى الشبابُ ولم يرجعِ
ولكنّ فيها جمالاً بديعاً وفيها حنينٌ إلى الأبدعِ
ومَن لا يرَى الحسنَ في ما يراه
فما هو بالرجلِ الألمعي
بني وطني من أنا في الوجود
وما هو شأني وما موضعي ؟
أنا أنتم ان ضحكتُ لأمرٍ ضحكتُ، وأدمُعكم أدمعي

ومطربُ أرواحكم مطربـي ومو جع أكبادكم موجعـي
أمَا نحن من مصدرٍ واحدٍ ألسنا جميعاً إلى مرجعِ ؟
رفعتم مقـامي وأعليتموه لما قد صنعتُ ولم أصنـعِ
أحقّ بإكرامكم طـائرٌ يغرد في الروض والبلقـعِ
وأولى به كوكبٌ طالـعٌ على سُهّدٍ وعلى هُجّـعِ
أنا واحد منكم يا نجـومَ بلادي متى تسطعوا أسطعِ
فمن قام يمدحني بينكـم فقد تُمدح الكفّ بالاصبعِ
وما الغيث غير الخضمّ ، وليس
الغـدير سوى السحُبِ الهمّـعِ
فلولاكمُ لم أكن بالخطيـبِ ولا الشاعرِ الساحر المبدعِ
أنا الآن في سكرةٍ لا أعي فيا ليتني دائمـاً لا أعي
فذي ليـلةٌ بجميع الزمانِ إذا كان في الدهر من أجمعِ

فيا أيها الليــل بالله قـــفْ ويا أيهــا الصبحُ لا تطلــعِ

إذا كنتُ قد بنتُ عن مربعـــي

فإني وجــدتُ بكم مربعـي

يمينــاً ســأحمل في أضلعي هواكمُ ما بقيَتْ أضلعي

وأشكركم بلسان النسائمِ والروض والجدولِ المترعِ

فلا عذرَ للطــير إمّــا رأى جمالَ الربيع ولم يسجعِ

إذا لم أكن معَـكم في غدٍ فإني سأمضي وأنتم معي

كمنجة الشوّا

كمنجةَ «الشوّا» عليكِ السلامْ
هيكل الوحي وعرش الغرامْ
فيكِ التقت أرواح أهل الهوى نجوى وشكوى وبكا وابتسامْ
وأودعتْ فيك الصَّبا همسها وخبّأ الاسرارَ فيك الظلامْ
وذابَ فيك الحبّ ذوب الندى
في مبسمِ الوردْ وجفنِ الخزامْ

رُدّي إلينا اليومَ دنيا الرؤى فإننا نشقى بدنيا الحطامْ
أجنحةُ الأشراق مقصوصة أو موثقاتٌ ، والأماني رمامْ
قد انقضى العمر وأرواحنا مفطومة بالحرص، بئس الفطام
نناى عن الحسن ونشتاقهُ ونهجرُ الماءَ ونشكو الأُوامْ
ويبعث الحقلُ الينا الشذى ونحن لا ننشق إلا الرّغامْ
نسير والأضواء من حولنا كأننا في هبوةٍ أو قتامْ
والماءُ يجري حولنا كوثراً
ونحن نستسقي السحابَ الجَهامْ
ونسهرُ الليل لغيرِ الهوى ما تنفع اليقظةُ والقلب نامْ ؟
حتى نسينا كيف لون الضحى ولم نعدْ نذكر سجعَ الحمامْ
خير من اليقظة عندي الكرى إن كانت الغبطةُ بنت المنامْ
خلنا الهوى ترجعُ أيامهُ لم يرجع الحبّ ولا المال دام

فيا فتى «الشهباء» يا شاعراً قد رفع الفن لأسمى مقامْ

رجعتَ بالسحر وكان انطوى

وجئتنا بالوحي في غير جامْ

هذا عصير الوحي في آلةٍ خرساءَ يجري فِتَناً للأنامْ

فإن تجدنا حولها عكّفاً فالمنهل العذب كثير الزحامْ

فدغدغ الأوتارَ لا تكترث أن تذهبَ الفتنة بالاحتشامْ

سعادة الأنفس في نشوةٍ من صورةٍ أو نغمٍ أو مدامْ

وقل لمن يحذر أن يشتكي ويحبس الدمع لئلا يلامْ

إسمعْ فهذا وتر نائحٌ وانظر فهذا خشب مستهامْ

★

نيويورك ! يا ذات البروج التي سمت وطالت كي تمس الغمامْ

لن تبلُغي والله باب السما   إلا بأوتار كنـار الشـآمْ
فاصغي إلى ألحانـه لحظـةً   تحتقري كلّ صنوف الكلامْ
وتدركي ان قصور المنى   تبقى وتنهدّ قصور الرّجـام
فرحّبي معنـا به واهتفي: هذا امير الفن ، هذا الإمام!

إذا

إذا جَدّفتَ جوزيتَ على التجديف بالنـارِ
وإن أحببتَ عُيّرت من الجـارةِ والجـارِ
وإن قامرتَ أو راهنتَ في النـادي أو الدارِ
فأنت الرجـلُ الآثم عند النـاس والبـاري

★

وإن تسكر لكي تنسى هموماً ذات أوقـارِ

خسرتَ الدين والدنيا ولم تربح سوى العارِ

★

وإن قلت : إذن فالعيش أوزار بأوزارِ
وإن الموت أشهى لي إذا لم أقضِ أوطاري
وأسرعتَ إلى السيف أو السّمِّ أو النارِ
لكي تخرج من دنيا ذووها غير أحرارِ
فهذا المنكَرُ الأعظم في سرٍّ وإضمارِ
إذن فاحيَ ومتْ كالناسِ عبداً غير مختارِ

شَبَح

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين
قالها في حفلة .

بأبي خيال لاحَ لي متلفّـِفـاً   بعباءةٍ من عهدِ فخر الدين
يمشي على مهلٍ ويرسل طرفـه   في حيرةِ المستوحش المحزونِ
من أنتَ يا شبحاً كئيباً صامتـاً ؟
قلْ لي فإنّكَ قد أثرتَ شجوني
أخيالُ خصمٍ أتّقي نزواتهِ ؟   أم أنت يا هذا خيالُ خدين ؟

فأجابني مترفّقـاً متحبّبـاً فسمعت صوت أبٍ أبرَّ حنون

★

يا شاعري قلْ للألى هجروني أنا ما نسيتكمُ فلا تنسوني

ما بالكم طوّلتم حبلَ النوى يا ليت هذا الحبلَ غيرُ متينِ

قد طفتمُ الدنيا فهل شاهدتمُ جبلاً عليه مهابتي وسكوني ؟

أورَدتمُ كمناهلي ؟ أنشَقتم كأزاهري في الحسنِ والتلوين ؟

ولقد تظلّلتمْ بأشجارٍ فهل
رفّتْ غصون فوقكم كغصوني ؟

وسمعتمُ شتى الطيورِ صوادحاً أسمعتمُ أشجى من الحسّون؟

هل أنبتتْ كالأرزِ غيري بقعة في مجدهِ وجلالهِ الميمونِ ؟

أرأيتمُ في ما رأيتمْ فتنةً كالبدر حين يُطلّ من صنّين

أوكالغزالةِ وهي تنفض تبرها عند المغيبِ على ذرى حرمون ؟
مرّت قرون وانطوت وكأنني لمحاسني كُوّنتُ منذ سنين
أبليتها وبقيت ، إلاّ أنّني للشوقِ كادَ غيابكم يبليني

★

لبنانُ ! لا تعذلْ بنيك إذا همُ ركبوا إلى العلياء كلّ سفينِ
لم يهجروكَ ملالةً لكنّهم خُلقوا لصيدِ اللؤلؤِ المكنون
ورثوا اقتحامَ البحرِ عن فينيقيا
أمِّ الثقافةِ مصدرِ التمدينِ
لمّا ولدتهمُ نسوراً حلّقوا لا يقنعون من العلى بالدون
والنسر لا يرضى السجون وان تكن
ذهباً ، فكيف محابسٌ من طين

الأرض للحشرات تزحف فوقهـــا
والجـــوُّ للبـــازيِّ والشـــاهينِ

★

فأجابني والدمع ملء جفونـه كم ذا تسلّيني ولا تُسليني ؟
أنا كالعرينِ اليوم غاب أسوده وتفرّقوا منه لكل عـــرين
الأرمنيّ على سفوحي والربى يبني الحصونَ لنفسه بحصوني
وبنو يهوذا ينصبون خيامهـم في ظل أوديتي وفوق حزوني
وبنيّ عني غافلون كـأنّـني قد صرت في الأشياء غيرَ ثمين
أنتم ديونٌ لي على آميركا ومن المروءةِ أن تردّ ديوني
أوَليس من ســخرِ القضاء وهزئـه
أن يأخذَ المثري من المسـكين ؟
عودوا فأنّ المالَ لا يغنيكـمُ عنّي ولا هوَ عنكمُ يغنيني

★

فشجيتُ ممّـا قاله لكنّني لمّا رأيتكمُ نسيت شجوني
لبنان فيكم ماثل إن كنتمُ في مصر أو في الهند أو في الصين
ان بنتمُ عنهُ فما زال الهوى يدنيكمُ منهُ كما يدنيني
وحراككم لعلائهِ وسكونكم وإلى ثراه حنينكم وحنيني
لو أمست الدنيا لغيري كلّهـا ورُبَاهُ لي ما كنت بالمغبون
أنا في حماكم طائر مترنّـم بين الأقاحِ الغضّ والنسرين
أنتم بنو وطني وأنتم إخوتي وانا امرؤٌ دينُ المحبةِ ديني

أنا وابني

قال لي ابني وهوَ حيران بمـا يُحكى ويُقرا
كيف كان الله ؟ إنّي قد وجدتُ الله سرّا
أسمعُ الناسَ يقولون بـه خيراً وشرّا
فأفدْني . قلت : يا ابني أنا مثلُ الناسِ طُرّا
ليَ في الصحّة آراء وفي العلّةِ أخرى
كلّما زحزحتُ ستراً خِلتني أسدلُ سترا

لستُ أدرى منك بالأمرِ ولا غيريَ أدرى

★

أحسبُ الله الذي صاغَ من الذرّاتِ صخرا
والذي شاءَ فصارت قطراتُ المـاء بحـرا
والذي شاءَ فضمّ البحرُ أصدافـاً ودرّا
وأراد الضوء أجراماً فصارَ الضوء زُهرا
إنّ هذا اللهَ لمّا شاء هذا كان «فكرا» ،

★

ثمّ لمّا نظمَ الألوان في الأرض زهورا
ورأى أن يُعلـنَ الحبّ غنـاءً وحبورا
فتمشّى في حواشي الأرضِ سحراً وعطورا
وتهـادى في حواشي الأفـقِ أطيافـاً ونورا
عندماَ أوجدَ هذا كان «حسّاً وشعورا»

★

مَنْ أحبَّ الله جبّاراً وفتّاكاً وقاهرْ
فأنا أهواهُ رسّاماً وفنّاناً ، وساحرْ
وأراهُ في الندى والزهرِ والشّهبِ السوافرْ
فإذا الأنجمُ غارت وانطوت كلّ الأزاهرْ
وتلاشى كلّ ما أنشا وسوّى من مَناظرْ
لاحَ لي في حسنهِ الأكملِ في ديوان شاعرْ

عبد الله البستاني

يا ميتـاً فيه جمالُ الحيـاةْ   ما حاز منك اللحدُ إلا الرفات
أنتَ الفتى الباقي بـآثارهِ   ما أنت بالمرء إذا مات مات !
وكيفَ يمتدّ اليك الردى   وذاتُك الحسناء في ألف ذات ؟
إذا اختفى في الورد لون الضحى
فالذنب ذنب الأعين الناظراتْ

يصوّحُ الزهرُ ويبقى الشذى ويذهب المرء وتبقى الصفاتْ

★

يا نائماً أغفى عن التّرّهات
إني وجدتُ الموت في التّرّهاتْ
أإن مضى الشيء نقول انقضى إذن فمن أين تجيء الحياة ؟
أليس دنيا الصحو دنيا الكرى ومثل ظلّ العيشِ ظلّ الممات ؟
تقسّم الأشياء أفهامُنا وليست النخلةُ إلا النواة
وفي الغدِ الأمسُ ولكنّنا للجهل قلنا : الدهر ماضٍ وآت
بعض الردى فيه نجاة الفتى وربما كان الردى في النجاةْ

★

يا قرويّاً عظمتْ نفسهُ حتى ترضّتها نفوس العتاة

وحسدتْهُ الصِّيدُ في كوخهِ   وحسدت قريتَهُ العاصمات
تلك السجايا لم تزل بيننا   ساطعةً كالأنجم الزاهرات
وعلمك الزاخرُ باقٍ لنا   ما بقيتْ في الأرض أمّ اللغات
في أنفس الناس وألبابهم   وفي بطونِ السِّيَر الخالداتْ
وفي تلاميذك أهلِ الحجى   والأدب الجمّ الجميل السمات
من شاعرٍ كالروضِ أشعارهُ   تسمع همسَ الحبّ فيه الفتاة
وسامرٍ تحسبُ أقوالَهُ   مسروقةً من مقلِ الغانيات
وكاتبٍ تشرق ألفاظه   كالدررِ المختارة المنتقاة
وصحبٍ أخلاقهم كالمنى   يروون عنك الحكمَ الغاليات
لم يخترمك الموت يا دوحةً   باسقةً قد خلّفتْ باسقاتْ

★

يا حجّة الفصحى ودهقانَها   وبحرها الطامي وشيخَ الثقات

«الضاد» من بعدك في مأتمٍ حاضرها والأعصر الغابرات

فليس في لبنان غير الاسى وليس غير الحزن حول الفرات

فمن يعزّي جبلاً واحداً عزّى الرواسي في جميع الجهات

*

سلختها سبعين من أجلها في عالم الطرس ودنيا الدواة

الناس من حولك في قيلهم وأنت كالعابدِ وقت الصلاة

غنِيتَ بالضاد وأسرارها عن الغواني والطلا والسقاة

أنت الذي ردّ اليها الصبا إنّ الهوى يجترح المعجزات

فاختلجتْ أوضاعها بالمنى وجاء ماء الحسن في المفردات

ولهجت باسمك آفاقها ورددته في البوادي الحداة

وحنّت النوقُ إلى سمعه وطربتْ من ذكره الصافنات

فيا شباباً يطلبون العلى إن العلى للأنفس الماضيات

ويا فقيراً يتمنّى الغـــنى   هلاّ تمنيتَ غنى المكرمات ؟
ويا سراةً يبــذلون اللُّهـــى   هذا فقيرٌ كان يعطي السراة !
من روحهِ لا فيض أموالــهِ   إنّ هبات الروح أسمى الهبات
لا يقتضي قـــاصدهُ حمـــدهُ
ويشكر العافي الذي قال : هـــات
وإن مضى العافون عن بابِـهِ   سارت عطاياه وراء العفــاة
فكان كالكوكبِ يمشي على   ضيائه الركبُ وذئبُ الفــلاة
وكان كالغيث إذا مــا همـــى
أصاب في الارض الحصى والنبات
وكان كالينبوعِ يرتـــادهُ   ذو الشِّيم الحسنى وذو السيّئات
وكالفضاءِ الرحبِ في حلمهِ   يضطربُ البازي به والقطاةْ

✶

يا صاحبَ «البستان» نَمْ آمناً
فإنّ في الموت زوالَ الشكاةْ
ما غاب ماءٌ غاب تحت الثرى
فأطلعَ النبتَ وأحيا المواتْ

فلوريدا

يا جنّةً قبلما حلّت بها قدمي أحببتها قصّة واشتقتُ راويها

كانت لهـا صورةٌ في النفسِ حـائرة
مثل القصيدةِ لم تُنسجْ قوافيهـا
وددتُ لو أنّهـا تمّتْ فيبصرَهـا
غيري وتسكره مثلي معانيهـا
وكيف تكمل في ذهني ولم أرَهـا
ومـا لصورتهـا شيءٌ يحاكيها ؟

وأيّما نغمةٍ أدّى عذوبتهـــا كلامُ راوٍ ولا شادٍ يغنّيهـــا

أأنشـقُ العطرَ لم أهبطْ خمائلهـــا ؟
وأشربُ السحرَ لم أسمع قماريها ؟
وتصعدُ النفسُ منّي للسماء ولا
حبـالُ نورٍ تدلّت من دراريها ؟
كانت سـعادةُ نفسي في تصوّرهـــا
والنفس يُسعدهـــا وهمٌ ويُشقيها
بالوهمِ توجد دنيا لا وجود لهــا
وتنطوي عنك دنيـــا أنت رائيها
فكم ظمئتُ وفي روحي جداولهـــا
وكم رويتُ وغيري في سواقيهـــا

قد كنت من قبل مثلَ الناس كلّهمِ
أقول إنّ إلـهَ الكونِ باريهـا
حتّى نظرتُ اليها في جلالتها فصار كلّ يقيني أنّه فيها !
لمّا رأيتُ الجمال الحقّ أدركني زهدٌ بكلّ جمال كان تمويها
كأنّما الحورُ مرّت في شواطئها في ليلةٍ طفلةٍ رقّت حواشيها
ففي الرمالِ سناء من تضاحكها وفي المياه أريج من أغانيها
أتيتها بشبابٍ ضاع أكثرهُ وغيّبتهُ الليالي في مطاويهـا
فاسترجعَ الحبّ قلبي فهوَ مغتبط
وعادتِ الروحُ خضراءً أمانيهـا

★

سُئلتُ ما راق نفسي من محاسنهـا ؟
فقلتُ للنـاس : باديهـا وخافيها

وما حببتَ من الأشجار ؟ قلت لهم :
إنّي افتتنتُ بكاسيها وعاريها
وما هويتَ من الأزهار ؟ قلت لهم :
الحبّ عندي لناميها وذاويها
قالوا : وما تتمنّى ؟ قلت مبتدراً :
يا ليتني طائرٌ أو زهرةٌ فيها
فربَّ أنشودةٍ من بلبلٍ غردٍ
حوتْ حكاية حبٍّ خفتُ أحكيها
وربّ روحٍ كروحي في بنفسجةٍ
وسْنى أطلّت على روحي تناجيها
وربّ قطرةِ ماءٍ لا غناء بها
شاهدتُ مصرع دنيا في تلاشيها

كلّ الذي لاحَ لي في أرضها حسنٌ
وأحسنُ الكلّ في عيني أهاليها
إلا ذوي السّحَنِ السوداء واعجباً
أجنّةٌ وذبابٌ في نواحيها ؟
إني ليكبتُ روحي أن ألاحظَهم
بمقلةٍ أبصرت فيها غوانيها
دعِ المساوىءَ في الدنيا فما برحت
فيها محاسنُ تنسينا مساويها
كم حاولَ الليلُ أن يطوي كواكبَه
فكان ينشرها من حيث يطويها
واذكرْ أكارمَ قومٍ طاب عنصرهم
وأشبهوا بسجاياهم أقاحيها

بني بلادي ! وفيكم من خمائلها جمالها والتسامي من روابيهـــا
تسلّتِ النفسُ عن أحبابها بكمُ لولاكمُ لم يكن شيءٌ يُسلّيها
أكرمتموني فشكراً غيرَ منقطـــعٍ
دوامُ شـكركَ للنعماء يبقيهـــا

بَيْنَ مدٍّ وجَزر

ألقاها في حفلة تكريم صديقه
الشاعر جورج صيدح عندما
زار نيوريورك .

سيّرتَ في فجرِ الحياةِ سفينتي
واخترتُ « قلبي » أن يكونَ إمامي
فجرَتْ على الأمواج قصراً من رؤى
ملء الفضا ملء المدى المترامي

وأقلّ منها البحرُ حين أقلها دنيا من الأضواءِ والأنغامِ
ومشى الخيال على الحياةِ بسحرهِ
فاذا الهوى في الماء والأنسامِ
وإذا الرمالُ أزاهرٌ فوّاحةٌ والشطّ هيكلُ شاعرٍ رسّامِ
وإذا العبابُ ملاعبٌ ومراقصٌ
وإذا أنا من صبوةٍ لغرامِ
أتلقّفُ اللذّاتِ غيرَ محاذرٍ وأعبّ في الزلاّتِ والآثامِ
لا أكتفي وأخاف أنّي اكتفي فكأنّما في الاكتفاءِ حِمامي
وكأنّ هديي أن تطولَ ضلالتي
وكأنّ ريّي أن يدومَ أوامي
مرّت بيَ الأعوامُ تتلو بعضها
وأنا كأنّي لستُ في الأعوامِ

كالموجِ ضحكي ، كالضياءِ ترنّحي ،
كالفجرِ زهوي ، كالخضمِّ عرامي
حتى إذا هتفَ المشيبُ بلمّتي
ودنتْ يدُ الماحي إلى أحلامي
صرخ « الحجى » بي ساخطاً متهكّماً :
« هذا الغنى شرٌّ من الاعدامِ »
« أسلَمتَني للقلب وهو مضلّلٌ
فأضرّني وأضرّكَ استسلامي »
« يا صاحبي اطلقني من سجن الرؤى
أنا تائهٌ ! أنا جائعٌ ! أنا ظامي ! »
وأرادَ « عقلي » أن يقودَ سفينتي
للشطِّ في بحرِ الحياةِ الطامي

فطويتُ أعلامَ الهوى وهجرتُها
ونسيتُ حتى أنّها أعلامي !

وحسبتُ آلامي انتهت لمّا انتهى
فإذا النهاية أعظمُ الآلامِ

وإذا الطريق مخاوفٌ ووساوسٌ وإذا أنا من هبوةٍ لقتامِ
أبغي الثراءَ ولم يكن من مطلبي وأرى الجمالَ بناظرٍ مُتَعامِ

وأشيدُ مثلَ الناسِ مجداً زائفاً
وأشدّ حولَ الروحِ ثوبَ رَغامِ

فإذا أنا والأرضُ ملكي والسما ،
قد صرتُ عبدَ الناسِ عندَ حطامي

فتضايقَ القلبُ السجينُ وقال لي :
« يا أيّها الجاني قتلتَ هيامي ! »

« القفرُ بالأحلامِ روضٌ ضاحكٌ
فإذا تلاشتْ فالرياضُ موامي »
« أينَ العيونُ تذيبني حركاتُهـا
وتموتُ في سَكَنَاتِها آلامي »
« وأطلّ من أهدابها السكرى على
ظلٍّ ، وأنداءٍ ، وزهرٍ نـامِ »
« لمّـا عصاني أن أشبّ ضرامهـا
أعيـا عليها أن تشبّ ضرامي »
« الخمر ملء الجامِ لكن قد مضى
شوقي إلى الخمرِ التي في الجامِ »
« أسلَمتَني « للعقل » وهو مضلِّلٌ
فأضرّني وأضرّكَ استسلامي »

« أنظرْ ألستَ تراكَ في أوهامـهِ
أشقى وأتعس منكَ في أوهـامي »

« المال ! من ذا يشتريهِ كلّـهُ منّي بليلِ صبابةٍ وغرامِ ؟ »

« يا صاحبي أطلقني من سجن النهى
أنا تائه ! أنا جائعٌ ! أنا ظامي »

★

لا تسألوني اليومَ عن قيثارتي قيثارتي خشبٌ بلا أنغامِ !
يا شاعراً غنّى فردّ لي الصبا فإذا مواكبهُ تسيرُ أمـامي
إنّا التقينا في الشبابِ وفي الهوى في حومتينِ – الشعرِ والالهامِ
وسنلتقي وإن افترقنا في غـدٍ في حبِّ لبنانٍ وحبِّ الشامِ
وستلتقي روحي وروحكَ بعدما تفنى الهياكلُ في الالهِ السامي

أهلاً بذي الأدبِ الصراح المصطفى
بالفاتحِ الروحيِّ بالمقدامِ
بالشاعرِ الغرّيدِ في ألحانهِ عبقُ الربيعِ ونضرةُ الأكمامِ
هو إن ذكرتَ الشعرَ من أمرائهِ
وإذا ذكرتَ المجدَ فهوَ عصامي

مستشفى تل شيحا

أنشدها في مهرجان أقامته لجنة
المستشفى في مدينة دترويت .

أباعثةَ المطايا من حديـــدٍ كأسرابِ القطا للعالمينـــا
ركائبُ في فجاجِ الأرضِ تسري
تقـــلّ الذاهبـــينَ الآيبينـــا
تقصّ على المدائن والقرايـا حكايةَ قومكِ المستنبطينـا

وكيف العقلُ يخلق من زريٍّ مهينٍ ، لا زريّ ولا مهينا
وينفخُ في الجمادِ قوىً وحسّاً فيركضُ تارةً ويطيرُ حينـا
ويهتفُ بالقصائد والأغاني وقد ذهبَ الردى بالمنشدينـا
لقد حسدتكِ أمّ الفن «روما»
كما حسدتكِ ضرّتهـا «أثينا»
فمجدكِ فوق مجدهما علاءً وحسنكِ فوق حسنهما فتونـا
نزلنا في حماكِ فقرّبينـا وباركنـا ثراكِ فباركينا
فما لطاعةٍ بنضار «فوردٍ» وفضّته اليكِ اليوم جينـا
فما هوَ في سماحتهِ «كمعنٍ» وليستْ نوقهُ للذابحينـا
ولكن فيكِ إخوانٌ هوينا لأجلهم جميعَ الساكنينـا
أحبّونا كـأنّهمُ ذوونـا وأنسونا بلطفهمُ ذوينـا
وعاهدناهمُ إذْ عاهدونـا فلمْ ننكث ولا نكثوا يمينـا

إذا غضبوا على الدنيا غضبنـا وإنْ يرضوا على الدنيا رضينا
دعاهمْ للعلى والخير داعٍ من « الوادي » فلبّوا أجمعينا
أيخذلُ « جارةَ الوادي» بنوها معاذَ اللهِ هذا لن يكونـا
فما لاقيتُ « زحليّـاً » جباناً ولا لاقيتُ « زحليّاً » ضنينا
تأمّلْ كيف أضحى « تلّ شيحا »
يحاكي في الجلالة « طور سينا »
فعن هذا تحدّرتِ الوصايـا وفي هذا وجدنا المحسنينـا
على جنباتهِ وعلى ذراهُ جمالٌ يبهرُ المتـأمّلينـا
فلمْ أرَ مثلهُ للخيرِ دنيـا ولمْ أرَ مثلَهُ فتحاً مبينـا
فيا أشبالَ « لبنان » المفـدّى ويا إخواننا وبني أبينـا
ترنّحَ عصركمْ فخراً وهشّت . لصنعكمُ عظـامُ المائتينـا
تباري الناسُ في طلبِ المعالي فكنتمْ في المجالِ السـابقينا

بنى الأهرام «فرعون» فدامت لتخبرَ كيف كان الظالمونا
وكم أشقى الجموعَ الفردُ منهم
وكم طمسَ الألوفَ لكي يبينا
وشدتم معهداً في «تلّ شيحا»
سيبقى ملجأ للبائسينا
يطلّ الفجرُ مبتسماً عليه ويرجعُ مطمئنّاً مستكينا
ويمضي يملأ الوادي ثناءً عليكم والأباطحَ والحزونا
أرى غيثينِ يستبقان جوداً هما مطرُ السما والغائثونا
لئنْ حجبَ الغمامُ الشمس عنّا فلم يطمسْ ضياءَ اللهِ فينا
ولم يسترْ سبيلَ الخيرِ عنكم ولم يقبضْ أكفّ الباذلينا
وجدتُ المرءَ حبُّ الخيرِ فيهِ
فإنْ يفقدهُ صار المرءُ طينا

تكمّش في الحقولِ الشوكُ بخلاً
فذلّ وعاشَ مكتئباً حزينا
وأسنى الورد ، إذْ أعطى شذاهُ ،
مكانتَهُ فكنْ في الواهبينا
سألتُ الشعرَ أن يثني عليكم فقالت لي القوافي : قد عيينا
سيجزيهم عن البؤساء ربٌّ يكافئ بالجميلِ المحسنينا

أفاتحة أم ختام

قالها في رثاء الاسقف
عمانوئيل أبو حطب .

ما وعظ الانسانَ مثلُ الحِمامْ
فلْيتّعظ بالصمتِ أهلُ الكلامْ
أفصحُ من كلِّ فصيحٍ بنا هذا الذي أعياهُ ردّ السلام
إنّي أراهُ وهوَ في صمتهِ أروعَ من جيشٍ كبيرٍ لهامْ

قامت جفونٌ سهرت للعلى
من قبلِ أن ينجابَ جنحُ الظلامْ
وسَكَنَ الوثّابُ في صدرهِ
من قبل أن يدركَ كلّ المرامْ
يا لهفةَ القومِ على كوكبٍ لاحَ قليلاً واختفى في الغمامْ
ولهفةَ الدين على سيّدٍ
كان يرجّى في الخطوبِ الجسامْ
وصاحبٍ قد كان في صحبهِ
كالروضِ فيه أرجٌ وابتسامْ
ما غابَ عنّا وكأنّي بهِ يفصلهُ عن صحبهِ الف عام
مَن الذي يطفىء من بعدهِ
في المهجِ الحرّى ذكيّ الضرام ؟

مَن الذي يمسحُ دمعَ الأسى
وماسحُ الأدمع تحتَ الرغامْ
يا نائماً مستغرقاً في الكرى خطبكَ قد أقلقَ حتّى النيام
خبّرْ فإنّ القومَ في حيرةٍ هل الردى فاتحةٌ أم ختام
وهل صحيحٌ أنّ كلّ المنى
يطحنها صرف الردى كالعظام ؟
وهل حقيقٌ أنّ أهلَ العلى
والفضلِ بعدَ الموتِ مثل الطغام ؟
أمْ بعد هذا يقظةٌ حلوةٌ ينسى بها المرء الشقا والسقام؟
ويصبحُ النايهُ في مأمنٍ من عنَتِ المال وعبثِ الحسام؟
وتستوي الحالاتُ في حالةٍ لا حيفَ فيها لا أذى لا انتقام؟

خبَرْ ، وحدَّثْ ، كلّنـا حـائرٌ
ذو الجهلِ منّا والأريبُ الهمامْ
لأيّما أمرٍ يعيش الورى ؟ لأيّما أمرٍ يموتُ الأنامْ ؟
وأين دارٌ ليسَ فيها شقا إن لم تكن هاتيك دارَ السلام؟
نمْ آمناً ، فالمرء بعد الردى كالفكر ، لا يزرى به لا يضامْ

الأسطورة الأزلية

توطئة

كان زمانٌ لم يزلْ كائنــاً وحالةٌ مـا برحت باقيـهْ
ملّ بنو الانسان أطوارهـم وبرموا بالسقمِ والعافيـهْ
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا لو أنّهُ كوّنهم ثانيـــهْ
وبلغتْ أصواتُهم عرشَـهُ في ليلةٍ مقمرةٍ صافيـــهْ
فقال إنّي فاعلٌ مـا اشتهوا لعلّ فيهِ حكمةً خافيـــهْ

وشاهدوهُ هابطاً من علٍ   فاحتشدوا في السهل والرابيه
من القرى القانعةِ الطاويه   والمدنِ الجامحةِ الغاويه
تألّبوا من كلِّ صوبٍ كما   تجتمع الأمطار في الساقيه
يسابق الصعلوكُ ربَّ الغنى   والأبلهُ الباقعةَ الداهيه
ويدفعُ الشيخُ التوى عودُهُ   وصار مثلَ الرمّةِ الباليه
فتىً مضى الفجر ولمّا تزلْ   روعتهُ في وجههِ باقيه
وتزحم الحسناءَ ممكورةً   خلاّبةً كالروضة الحاليه
دميمةٌ تشبهُ في قبحها   مدينةً مهجورةً عافيه
فصاح ربّ العرش: ما خطبكم   ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟
هل أصبحت أرضكمُ عاقراً؟   أم غارت الأنجمُ في هاويه ؟
أم أقلعَ الماءُ فلا جدولٌ ؟   وماتت الطيرُ فلا شاديه ؟
أم فقدتْ أعيُنكم نورَها ؟   أم غشيَت أرواحكم غاشيه ؟

أين الهوى ؟ إن لم يكن قد قضى
فكلّ جرحٍ واجدٌ آسيَه

الفتى

قال الفتى : يا ربّ انّ الصبا مصدرُ أحزاني وآلامي
ألبستنيهِ مونقاً بعدما أبلاهُ أخوالي وأعمامي
وصار في مذهبهم عصرهُ فترةَ زلاّتٍ وآثامٍ
فاختلفت حالي وحالاتهم كأنّني في غير أقوامي
وصرتُ كالجدولِ في فدفدٍ
أو شاعرٍ ما بين أصنامِ

والأخضرِ المــورقِ في يابسٍ

أو مثــلِ صــاحٍ بـين نــوّامِ

دنياهمُ دنيــايَ لكنّمـــا أعلامهم ليست كأعــلامي

عندهم الروضةُ أشبارُهــا والروضُ عندي الزهَرُ النامي

والطيرِ لحمٌ ودمٌ عندهم وليس عندي غيرَ أنغـامِ

سُكري بها أو بالندى والشذى وسكرهم بالخمر في الجـام

يســخرُ قلبــي بليــاليهمِ ويســخرُ الــدهرُ بأيّامـي

كــأنني جئت لتبكيتهـــم كأنّهم جــاءوا لإيلامـــي

عبءٌ على نفسيَ هذا الصبــا ألجائشُ المستوفزُ الطامي

يزرع حولي زهَراتِ المنى وشوكها في قلبيَ الدامي

فانٍ له في كلِّ فانٍ هـوىً فانٍ ، ولا ينجو من الذامِ

خذه ، وخذ قلبي وأحلامه فإنّــني أشـقى بأحلامـي

١٥

ومرْ يمرّ الدهرُ في لحظةٍ كالطيف أو كالبرقِ قدّامي
وازرع نجومَ الشيب في لمّتي فينجلي حندس أوهامي
فأبصرَ الحكمةَ في ضوئه إنّي اليها جائع ظامي

الشيخ

وجاء شيخٌ حائرٌ واجفٌ مشتعلُ اللمّة بالي الاهابْ
كأنّما زلزلةٌ تحتهُ لما به من رعشةٍ واضطراب
فصاح : يا ربّاه خذْ حكمتي
واردد على عبدك عصرَ الشباب
إنّ اماني الروحِ أزهارُها وإنّ روحي اليومَ قفرٌ يباب

لا جدولٌ لا بلبلٌ منشدٌ بلى بها الوحشة والاكتئاب
تلك الأمانيُّ على كذبهـــا لم تكن اللذّة فيها كذابْ
زالت ومـا زالت ، وإنّ الشـقا
أن تُطمسَ الآيُ ويبقى الكتـابْ
وتُسلبَ السرحةُ أوراقَهـا ولم تزل أعراقهـا في التّرابْ
كنت غنيّـاً في زمـان الصبـا
وكنت صفرَ الكفّ صفر الوطـابْ
صحوت من جهلي فأبصرتني كأنّني سفينةٌ في العبـابْ
قيل لها في البحر كل المنى فلم تجد في البحر إلاّ الضبابْ
نأت عن الشـطّ ولم تقـترب
شبراً من السرّ الذي في الحجـابْ
ولو ترجّي أوبةً لاشتفـت لكنّما عزّ عليهـا الاياب

مرْ تقف الأيامُ عن سيرها فإنّها تركض مثلَ السحاب
وضعْ أمـامي ، لا ورائي المُـنى
وطوّل الـدربَ وزِد في الصعاب
مـا لذّتي بالمـاء أروى بـه
بل لذّتي في العدو خلف السراب

الحسناء

وقالت الحسناءُ : يا خـالقي وهبتَني الحسنَ فأشقيتني
وجهي سنيٌّ مشرقٌ إنّمـا
مرعى عيونِ الخلق وجهي السني
حظّيَ منه حظّ ورد الربـى من عطرهِ الفوّاحِ والسوسن

ومثل حظّ السرو في فيئــــهِ والطيرِ من تغريدها المتقـــنِ
ومثل حظّ النجمِ من نورهِ في الحندسِ المعتكرِ الأدجن
للقائـلِ الفيءُ . وللســامعِ التغريدُ ، والزهرة للمجتني
والنور للمدلـجِ والمجتـلي والدرّ للقــانص والمقتـني
كم ريبةٍ دبّت إلى مضجعي وتهمةٍ حامتْ على مســكني
كـأنّما لا أدبٌ ممكــنٌ مع الجمال الرائع الممكن
إن عشقتْ نفسي فويلٌ لها والويلُ لي إن رجلٌ حبّـني
السّم والشوك وجمرُ الغضــا أهونُ من كاشحة الألسن
كم تقتفيني نظراتُ الخنــا ويليَ من خائنةِ الأعــين
لم يبقَ في روحيَ من موضعٍ يا ربّ لم يخدش ولم يُطعــنِ
إنّ الغنى في الوجه لي آفــة يا ليتني دميمــةٌ ليتني !

الجارية

وسكتتْ ، فصاحت الجاريهْ   باكيةً من بؤسها شاكيهْ
ذنبي إلى هذا الورى خلقتي   فهل أنا المجرمةُ الجانيه ؟
إن أخطأ الخزّافُ في جبله   الطينَ فأيّ الذنب للآنيه ؟
أليس مَنْ يسخرُ بي يزدري   بالقوّة الموجدة الباريه ؟
لو كنتُ حسناءَ بلغت العلى   فللجمال الرتبةُ العاليه
وباتَ مَنْ أسجدُ قدّامهُ   صاغرةً يسجد قدّاميه
فإنّني في ملأٍ ظالمٍ   أحكامهُ جائرةٌ قاسيه
ليس لذات القبح من غافرٍ   وفيه مَن يغفر للزانيه
نفسيَ جزءٌ منك يا خالقي   وإنها عاقلةٌ راقيه
أليس ظلماً وهي بنت العلا   ان تكُ بالقبح إذن كاسيه
فليكنِ الحسنُ رداءً لها   ترفلْ به أو فلتكن عاريه

الفقير

وأقبل الصعلوكُ مسترحماً في مقلتيه شبحُ اليـأس
يصرخُ يا ربّاهُ حتى متى تحكّم الموسرَ في نفسي ؟
وتضعُ التاجَ على رأسه وتضعُ الشوكَ على رأسي ؟
وتتجلّى الشهبُ في ليله ضاحكةً كالغيد في عرس
ويتوارى في نهاري السنا أو يتبدّى حانقَ الشمس
يا ربّ لا تنقله عن أنسه وإنّما انقلني إلى الأنس
فإن تشأ أن لا يذوقَ الهنا قلبي فجرّدني من الحسّ
لو لم يكن غيريَ في غبطةٍ ما شعرت روحيَ بالبؤسِ

الغني

وقال ذو الثروة : ما أشتهي

لا أشتهي انّيَ ذو ثروةٍ

أنفقتُ أيامي على جمعها وخلتني أدركتُ أمنيّتي

فاستعبدتني في زمان الصبا واوقرتْ بالهمّ شيخوختي

قد ملّكتني قبلما حزتها وملكتني وهيَ في حوزتي

كنحلةٍ أمسكها شهدها من الجناحين فلم تفلتِ

حسبتها تكسبني قوّةً فافترستْ قوّتها قوّتي

جنتْ على نفسي وأحلامها جنايةَ الشوكِ على الوردة

ينمو فتذوي فهيَ علّيقةٌ يحذرها الطائف بالروضة

مَنْ قائلٌ عنّي لمن خالني		أمرحُ من دنيايَ في جنّة
لا تنظرِ الأضواء في حجرتي		وانظرْ إلى الظلماء في مهجتي
ولا يغُرّنّك قصري فما		قصري سوى سجنٍ لحريّتي
إنّيَ في القصر الرفيع الذرى		كطائرٍ – في قفصٍ – ميّت
كم في عبابِ البحر من سابحٍ		قد مات ظمآناً إلى قطرة
موتُ الطوى شرّ ولكنّما		أفظعُ منهُ الموتُ بالتخمة
كم من فقيرٍ مرّ بي ضاحكاً		كأنّما يسخرُ من كربتي
رأيتهُ بالأمس من كُوّتي		فخلتني أنظرُ من هوّة
وكنتُ كالحوت رأى موجةً		ضاحكةً ترقصُ كالطفلة
أو حيّةً تدبّ في منجمٍ		ترنو إلى فراشةٍ حُرّة
قد اختفت ذاتيَ في بردتي		فما يرى الخلقُ سوى بردتي
فهمْ إذا ما سلّموا سلّموا		على خيوطِ البردِ والجبّةِ

ربّاه أطلقْ من عقال الغـنى روحي ، فإنّي منهُ في محنة!
وانزعْ مع الدينارِ من قبضتي صلابةَ الدينارِ من سحنتي
وحوّلِ المالَ إلى راحـةٍ وحوِّلِ القصرَ إلى خيمـةِ

الأبلـه

وصرخ الأبلـه مستفسراً
ما القصدُ من خلقي كذا ما المرادْ ؟
ألم يكنْ يكملُ هـذا الورى إلاّ إذا أوجدتني في فسادْ ؟
لي صورةُ الناس وحاجاتهـم من مطعمٍ أو مشربٍ أو رقاد
لكنّ لبّي غيرُ ألبابهـمْ فإنّه مكتنفٌ بالسـوادْ
يعجزني إدراك ما أدركـوا كأنّ عقلي فحمةٌ أو رمادْ

إن كنتُ «إنساناً» فلِمْ يا تـــرى
لستُ بادراكي كبــاقي العبــادْ ؟

أو لم أكنْ منهم فمرني أكنْ جرادةً أو أرنبــاً أو جوادْ
فالندّ لا يعدم من نــدّه ذريعةً للسلم أو للجهــادْ
لا تسخرُ النملةُ من نمــلةٍ وليس يزري بالقرادِ القرادْ
أم أنت كالحقلِ على رغمــهِ ينمو مع الحنطةِ فيه القتادْ ؟

الأريب

وجاء بعد الأبلهِ المستريبْ الألمعيُّ العبقريُّ اللبيــبْ
فقال : إنّي تائــهٌ حائرٌ أنا غريبٌ في مكان غريــبْ
أبحثُ عن نفسي فلا أهتــدي وليس يهديني اليها أريــب

أنا عليمٌ حيث لا عــالمٌ انا لبيبُ عند غيرِ اللبيبْ
لو أنّني كنتُ بلا فطنــةٍ سرت ولم تكثر أمامي الدروبْ
وكان عقلي كعقول الــورى وكان قلبي مثلَ باقي القلوبْ
وصار عندي كالنجومِ الورى فلا عدوّ فيهمِ أو حبيــبْ
ولم أجــدْ في ضحكهم والبكــا
شـيئاً سوى الضحك وإلا النحيبْ
ولم اسائلْ كوكباً طالعــاً ما لك تبدو ولمـاذا تغيبْ
ولم أقف في الروض عنـد الضحى
يذهلــني لونٌ وشـكلٌ وطيبْ
ولم أقــلْ مــا كنتُ من قبلمــا
كنتُ ولا ما في سجلِّ الغيوبْ
ما العقلُ يا ربُّ سوى محنةٍ لولاه لم تُكتبْ عليّ الذنوبْ

الخاتمة

لمّا وعى الله شكايا الورى قال لهم : كونوا كما تشتهونْ
فاستبشر الشيخ ،وسُرّ الفتى والكاعبُ الحسناءُ،والحيزبون
لكنّهم لما اضمحلّ الدجى لم يجدوا غيرَ الذي كانا !

✶

همْ حدّدوا القبح فكان الجمالْ
وعرّفوا الخيرَ فكان الصلاحْ
وليس من نَقصٍ ولا من كمالْ
فالشوك في التحقيق مثل الأقاح
وذرّةُ الرملِ ككلّ الجبالْ وكالذي عزّ الذي هانا !

فهرست